مكتبتنا العربية

مجلة الأزهر

٩١

المجلد الحادى والعشرون

مدير المجلة
ورئيس تحريرها
محمد فريد وجدى بك

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الاشتراك السنوى { ٤٠ لمصر والسودان
٥٠ لخارج القطر المصرى

ثمن العدد ٤٠ مليما

ادارة المجلة : بديوان الإدارة العامة للأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة

مطبعة الأزهر
١٩٤٩

مكتبتنا العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة السنة الحادية والعشرين

لمجلة الأزهر

نحمدك اللهم على ما أسديت إلينا من سداد فيما نحن بسبيله من خدمة دينك الحق ، الذى شرعته هداية للخلق ، ونصلى ونسلم على رسولك محمد خاتم النبيين ، المبعوث الى الناس أجمعين ، وعلى آله وصحبه ومتبعيه الى يوم الدين .

أما بعد : فإننا بهذا العدد من مجلة الأزهر نفتتح السنة الحادية والعشرين لوجودها عاملة على خدمة الإسلام ، ماضية فى سبيلها قُدُما لا تنى ولا تفتر ، رافعة علمه عاليا فى الخافقين ، ملاقية من المسلمين فى جميع بقاع الأرض تأهيلا وترحيبا . فمن كان من أهل تلك البقاع يفهم العربية ويقرؤها فقد حظى منها بأمنية كان يتشهاها من قبل ولا يجدها ، فلما تحققت أقبل عليها إقبال الهيم على المورد العذب . ومن كان منهم لا يفهم العربية ولا يقرؤها ، يترقب ما يترجمه بعض كتابهم منها وينشرونه فى مجلاتهم . فكانت هذه المجلة من أسباب إيقاظ القلوب فى العالم الإسلامى كله .

ويرى القراء مما تنوخاه هذه المجلة من الإكثار من نشر مقالات لنبغاء الأزهريين ، أن الأزهر أصبح لا يقل عن أية جامعة أخرى فى تنشئته كبار المفكرين الذين يستطيعون أن يؤدوا واجبهم الدينى على أتم ما يجب أن يكون عليه من بلاغة وتدليل .

وقد زدنا فى عنايتنا باللغة العربية التى خصص لها الأزهر كلية خاصة حفظاً لها من الضعف الذى كانت منيت به ، فعنينا بنشر مواضيع شتى لكثير من نبغائها ، ويرى القراء أنهم قد تفوقوا فى هذا المجال على سواهم ، وفى حفظ مكانة اللغة العربية حفظ للدين .

مكتبتنا العربية

وإنى فى هذا المقام أرى من واجبى أن أنوه بما لجلالة الملك فاروق الأول من الفضل فى هذه النهضة الأزهرية : فقد حاطها جلالته بعنايته ، وتعهدها برعايته ، ورفع من شأنها بتوجيهاته ، فكانت ثمرة هذه العناية الملكية ماهى فيه اليوم من تقدم وارتقاء . وإنا لنرجو أن يبلغ الأزهر الشأو الذى يريده له بفضل الله وكرمه .

وإنا لا ننسى أن ننوه بما لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر من العناية بإبلاغ الأزهر الى الغاية المرجوة له ، بما أوتى من الكياسة النادرة ، والرعاية القويمة .

ولا يجوز أن نغفل هنا التنويه بذكر حضرات أصحاب الفضيلة العلماء الأعلام الذين يساهمون فى تحرير مجلة الأزهر ، فإنهم يبذلون أحسن ما عندهم من المواهب العقلية والعلمية للإشادة بذكر الإسلام وبيان فضائله وبيناته ؛ ويسرنا أن نخبرهم أن ما يكتبونه يقدر قدره فى البلاد الإسلامية كافة ، وينقل بعضه إلى لغات أهلها وينتفع به ، وينشر بين ظهرانيهم محوطا بالتقدير العظيم والعناية التامة .

فالله نسأل أن يسدد خطواتنا ، وأن يهبنا من فضله قوة على القيام بحقها ، فإنها وأيم الحق لمهمة يجب أن يبذل فيها كل جهد ، وأن توقف عليها كل قوة منا ومن الذين يعملون معنا ، والله يهدينا الى سواء السبيل ؟

محمد فريد وجدى

مكتبتنا العربية

احتفال الازهر بالعام الهجرى

احتفل الأزهر فى يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر أكتوبر الجارى بأول العام الهجرى لسنة ١٣٦٩ ، فاحتشد ألوف من المحتفلين يتقدمهم سعادة المحافظ ، وكان يستقبلهم صاحبا الفضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الازهر ، والشيخ محمود أبو العيون السكرتير العام . فألقى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى كلمة جامعة ، تجلت فى ثوب من البيان الرفيع ، فذكر الهجرة النبوية وما دعا إليها وما آلت إليه . فوقعت من الحاضرين أجمل موقع ، وهتفوا بحياة جلالة الملك المحبوب ، ثم انصرفوا شاكرين . وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله الذى هدانا الى صراطه المستقيم ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، الذى بلّغ رسالات ربه فكان رحمةً للعالمين .

أما بعد : فيستقبل المسلمون اليوم فى جميع بقاع الأرض عامهم الهجرى الجديد فرحين مستبشرين ؛ لأنهم إذ يحتفلون به إنما يحتفلون بذكرى مجيدة عزيزة على المؤمنين ؛ ذكرى الهجرة النبوية المباركة التى جعلها الله فاتحة خير للإنسانية . فقد خرجت بالإنسانية من ظلمات الجهل الى نور الهداية ، وقضت على الشرك وأهله ، فعمّت المعرفة ، وعزّ الحق ، وتحررت النفوس من ذل العبودية .

وهم إذ يذكرون الهجرة المباركة يذكرون حادثا من أهم الحوادث خطرا فى مغزاه وفى أثره : حادثا تجلت فيه البطولة الخالدة للنبى الأمين ، وتجلت صفات الإيثار والصبر والإيمان ، فغلب شعبا بأكمله على أمره ، ورده عن زيف معتقداته الى الحق واليقين .

ظلت الجزيرة العربية تسودها الأوهام والضلالات ، وتتخبط فى دياجير الشرك والجهالة ، الى أن أراد الله بها خيرا ، فبعث فيها سيدنا محمدا صلى الله عليه

مكتبتنا العربية

وسلم بدين الهدى ودين الحق ، يدعو الناس الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فأنقذها من ضلالها ، وأقالها من عثارها ، وهداها سواء السبيل . ولكن على ما جلبه لها من خير ، لم يلق من قومه وعشيرته إلا جحودا ونكرانا ، فجاهدهم على غيهم ، وكافحهم فى سبيل تحقيق دعوته ، واحتمل أذاهم بصبر جميل .

ولقد بدأ عليه الصلاة والسلام يدعو من الناس من يتوسم فيه الخير سراً ، حتى إذا أمر بالجهر جهر بدعوته ؛ وقد استجاب لها نفر قليل ممن أنار الله بصائرهم وشرح صدورهم الإيمان ، فآمنوا بما أنزل إليه ، ووقفوا إلى جانبه يشدون أزره . أما سواد الناس من قريش فقد عميت بصائرهم ، وران على قلوبهم غيهم ، فاشتدوا فى الحملة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكادوا له ، وأسرفوا فى إيذائه ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يُتم نوره ولو كره الكافرون » .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقابل كيد الكائدين ، واعتداء المعتدين وظلم الباغين ، بإيمان قوى مكين ، فلم يزده أذاهم إلا استمساكا بدعوته ، ومناضلة عن عقيدته ، حتى إذا عدل المشركون عن الشدة إلى الملاينة ، وعن العداوة إلى المصانعة ، وبذلوا له الوعود ، ومنوه بالأموال والجاه والملك والشرف ، أجابهم صلوات الله وسلامه عليه بقوله المأثور « والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » ! فزاد ذلك الموقف الكريم المشركين عنادا ، وغيا على غيهم ، وضلالا على ضلالهم ، ونالوا المسلمين بأذاهم ، غير متورعين ولا متعففين .

فلما اشتد بالمسلمين الكرب ، وعظمت عليهم البلية ، أمرهم بالهجرة من إيذاء قريش وغيرها . ولكن قريشا أبى عليها شيطانها إلا أن تزداد أذى لمحمد ، حتى بلغ بهم الكيد أن ائتمروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ، فيطفئوا نورا أراد الله له الإشراق ، ويقضوا على دعوة قضى الله لها القيام والانتشار .

دبَّروا وأحكموا التدبير ، وانتهى رأيهم على أن يقتلوه — صلى الله عليه وسلم — واتفقوا على أن يقوم بالقتل جماعةٌ من فتيانهم الأشداء من جميع القبائل ، فينقضُّوا عليه فيضربوه ضربة رجل واحد ، فيتفرقَ دمه فى القبائل ،

مكتبتنا العربية

ولا يقدر بنو عبد المطلب على الثأر له ، فأطلعه الله تعالى على ما بيّتوا له ، وأمره بالهجرة فى الليلة التى حدّدها المشركون لقتله : فدبر الرسول صلى الله عليه وسلم أمر خروجه ، وبصحبته أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وأعانه الله على من ائتمروا به ، فغشّى على أبصارهم فلم يروه . واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه طريقه الذى رسم حتى بلغا غار ثور ، فأقاما فيه أياما ، جدت قريش فى طلبه والبحث عنه ، وبذلت غاية جهدها للّحاق به ؛ ولكن الله أبى إلا أن يتم نوره ، إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانِىَ اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمةَ الذين كفروا السفلى ، وكلمةُ الله هى العليا ، والله عزيز حكيم » .

ثم اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيله الى المدينة تحفّه عناية الرحمن ، حتى إذا وصل اليها استقبله أهلها مؤمنين بدعوته ، ناصرين لدين الله . وبهذا تمت هجرة الرسول الى المدينة ، ودخلت الدعوة الإسلامية فى دور جديد ، أساسه المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، فربط الله بين قلوبهم ، وتضامت صفوفهم فى عزة ومنعة ، عزت على قوة قريش وصولتها ، وعم نور الله الآفاق ، وفاض على الجزيرة العربية حتى ملأ البقاع ، ودُكت معالم الشرك ، وانمحت الوثنية ، وأصبحت كلمة الله هى العليا . وهكذا تمت الهجرة المحمدية التى حفظ الله بها دينه ، وانتشر على أعقابها نور الإسلام .

وهذا هو المثل الرفيع الذى ضربه النبى الكريم فى التضحية والإيثار ، والمثابرة والاحتمال ، والصبر على الأذى .

وإنى إذ أهنىء المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بهذه الذكرى المباركة ، أرجو مخلصا أن يتخذ إخوانى وأبنائى المسلمون منها عظة تنفعنا ، وتقوى إيماننا ، وتربط بين قلوبنا ، وتوحد صفوفنا ، حتى نستطيع أن نستعيد مجدنا ، ونحيى آثار أسلافنا ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز » .

ونتوجه الى الله تعالى بقلوبنا ، وبصدق نياتنا ، أن يجعل عامنا الجديد ، سعيد الطالع ، مبارك النقيبة ، متهيئاً للعالم فيه رخاء عميم ، وسلام مقيم ،

مكتبتنا العربية

وأن يتفيأ فيه المسلمون وحدة تجمع بين قلوبهم ، وتقوى عُرى روابطهم ، فيستعيدوا فى حاضرهم مجدهم الغابر ، وعزهم التالد .

ونضرع اليه سبحانه أن يكلأ وادينا بعين رعايته ، وأن يوفق أبناءه ويؤلف بين قلوبهم الى ما فيه صالح البلاد ومجد الوطن ، فى ظل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم ، فاروق الأول ، أعز الله ملكه ، وأيده بروح من عنده .

اللهم اشرح صدره ، ويسر أمره ، وأحيه حياة طيبة مباركة تعم بنفعها العباد والبلاد .

ونسألك اللهم يا واسع الفضل والإحسان ، أن تتغمد برحمتك ورضوانك الراحل الكريم ، مولاى الملك العظيم ، المغفور له ، الملك فؤاداً الأول ، .

اللهم اجعله فى أعلى عليين ، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

اللهم وفق حكومة جلالة الملك الى ما فيه الخير العميم ، إنك نعم المولى ونعم النصير . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مكتبتنا العربية

الناموس الادبى العام

يرى المتأمل فى الوجود أن الشئون العالمية تجرى كلها متبعة سننا ثابتة لا يعتريها أقل انحراف . فالشموس فى السماء تحيط بها الكواكب تخترق مواكبها الفضاء بسرعة لا يدركها العقل ؛ وفيها من الكائنات ما لا يدخل تحت حصر ؛ وجميعها محكوم بنواميس طبيعية لا تتخلف عن عملها بأى مؤثر من المؤثرات . ويرى الرائى رأى العين أنها من النظام والإحكام والاستمرار بحيث يقف العقل حيالها دهشا ، ولا يرى بدا من الاعتراف بأنها من وضع بارئ الكون الذى وسع كل شىء علما .

هذه النواميس قد أحس بوجودها الإنسان من أول عهده بالنظر والتفكير ، واعتبر ما تحدثه أعمالا صادرة من خالق الوجود ، وهى كذلك عند المحققين ، ولكن الطائفة التى حاولت أن تنكر وجوده جل وعز ، من قدماء الفلاسفة ومحدثيهم ، اعتبروها نواميس طبيعية ، وجدت مع الكون من أزل الآزال ، وهو وهم خطير استنكره كبار المتأملين .

لسنا هنا بصدد البحث فى حقيقة النواميس ، ولا فى إثبات وجودها ، فهى ماثلة أمام أعيننا تدبر الوجود ، وتهيمن عليه ، وتحفظه من الخبط والتخاذل ؛ وإنما نحن بصدد إثبات وجود ناموس أدبى عام ، الى جانب النواميس المادية ، يقود الأعمال الإنسانية ويربها ويرقيها ، ويدأب على توجيهها الى المثل الأعلى من الوجود الإنسانى .

وجد الإنسان على هذه الأرض عاريا وبغير سلاح ، فكان همه الأول أن يقى نفسه من غوائل الوحوش الضارية ، والتقلبات الجوية المهلكة ، وأن يحصل ما يقيم أوده من ثمرات الأرض . هذه الأمور كانت شغله الشاغل أمداً حتى هداه عقله الى بناء الأكواخ ، وعمل بعض ضروب السلاح من الأحجار . كل هذا كان تحت هداية مواهبه الذاتية ، وتدبيره المحدود ، وعلى طريقة التدريج

مكتبتنا العربية

خلافا للحيوانات ، فقد خلقت فى أجسادها القوى والأسلحة التى تكفيها مؤنة الإنشاء والتدبير .

لسنا بسبيل الكلام فى هذا الموضوع ، ولكن بصدد الرقى الأدبى الذى حصله الإنسان فى مدى بضعة ألوف من السنين التى عاشها على الأرض . فقد وجد على الأرض وليس لديه أثر من أدب أو مجاملة أو حياء أو سياسة أو نزوع الى تكمل فى الأخلاق والتقاليد الخ ، مما شغل العقل الإنسانى واستوعب تفكيره آماداً طويلة ، حتى أصبح بعد أن كان على نحو ماعليه الى الآن متوحشو استراليا وافريقيا من العرى المطلق والحيوانية الباحتة ، والبهيمية الصرفة ، متجملا بأدب راق ، وتقاليد سامية ، ومعاملة مبنية على التعاطف الأخوى ، وترفع عن إتيان المنكرات علانية ، وتعال عن ركوب الخنا جهرة . وقد وصل كثير من آحاده الى درجة الإيثار ، فيجيعون أنفسهم ليشبعوا الجائع المحتاج ، ويعرضون أنفسهم للخطر ليدفعوا الأذى عن ضعيف لا جريرة له ، بل ويلقون بأنفسهم للهلاك صيانة لعرضهم أن يدنس .

هنا نتساءل : ما الذى أدى بالإنسان الى هذه الدرجة من التصون والعفاف والورع ، إن لم يكن يوجد ناموس طبيعى يدعى بالناموس الأدبى ، حاصل على جميع مميزات النواميس الطبيعية وتبعاتها ؟

مما يدلك على أنه ناموس طبيعى ، تأثيره العام على جميع النوع البشرى فى جميع قارات العالم . فالصفات الأدبية من الحلم والوداعة والكرم والإيثار والنجدة والقناعة والترفع والحياء والتصون وحسن المعاملة والاستقامة الخ ، كلها صفات معتبرة فى جميع كتب الأخلاق عند جميع الأمم ، شرقيها وغربيها شماليها وجنوبيها أبيضها وأسودها ، وليس بعد هذا دليل على أن هذه الآداب البشرية صادرة عن ناموس طبيعى عام ، مثله كمثل جميع النواميس الطبيعية .

وإذا كان الأمر كما ذكرنا فإن على مخالفة مقتضيات هذا الناموس الطبيعى العام ، نتائج سيئة تقع على الهيئات التى تنحرف عنها .

إذا تقرر هذا كله فإن ما نراه من حيد الناس عن الآداب الموروثة ، وميلهم

مكتبتنا العربية

الى التحلل منها ، يفضى الى حدوث فتن اجتماعية تنتاب الجماعات على صور شتى ، وفى نواح متعددة من مقـومات حياتها .

وإذا كان هذا كله حقا لا مرية فيه ، فلا يجوز لأمة من الأمم أن تترك هذه الناحية الخطـيرة من وجودها الاجتماعى لذوى الميول الحيوانية ، والنزغات الشهوانية ، فيسنوا للناس فى ألبستهم واجتماعاتهم وعاداتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض ، سننا تمليها عليهم الإباحة المطلقة ؛ فان هذه الإباحة المطلقة لا تستند إلا على أصل واحد ، وهو إشباع الشهوات البهيمية الى أقصى حد ، وفى أسلوب تمويهى مفضوح ، أو ذهابا مع مبادىء إلحادية وقعوا فى فخها ولم يفطنوا لمغبتها .

على أن المسألة ليست مسألة إيمان أو كفر ، فهى مسألة اجتماعية باحتة . فإن الأمم التى تريد أن تبقى وأن تزداد قوة وفتوة ، وأن تبلغ أقصى غايات المدنية ، يجب أن تتجنب ما يعدو على كيانها ، وما يؤثر على سرعة تقدمها ، وخاصة إذا كانت متخلفة عن غيرها فى ميدان الحضارة والعلم .

فإذا ظلت تتخيل أن الناموس الأدبى استعارة بيانية ، لا حقيقة عالمية ، وأن ليس وراء مخالفته من تبعة مادية ، وألفت بنفسها فى تيار التقليد لمن سبقها فى الوجـود ، واعتبرت ما هى عليه من الأمور المنافية لهـذا الناموس من لوازم المدنية ، فان هذه بتسكعها فى أهوائها ، وتماديها فى باطلها ، إن حصلت على شىء فلن يكون إلا مظهرا خداعا من الملبس والمأكل والعادات التى تقتبسها من الأمم التى تحتك بها ؛ أما فى الواقع فإنها بهذا التقليد الأعمى إنما تعمل لهلاكها ، وتتهافت على مبيداتها .

إنى أرى أول ما يجب على المصلحين فى مثل هـذا الدور الذى تكون فيه الجماعات ، أن يعملوا على تجنيبها فى دور نهوضها ، ناحية اللهو والترف والإباحة الشائعة فى الأمم المتمدنة . وذلك بالتدليل لها على أن هذه الأمم لما بدأت ترتقى لم تكن على ما هى عليه اليوم من هذه الموبقات الاجتماعية ، وإلا لما وصلت الى هذه الدرجة من المدنية والعلم ، ولهلكت قبل أن تصل الى شىء منها .

مكتبتنا العربية

وإنها لحقيقة يمكن التدليل عليها ؛ فإن الدولة الرومانية كانت إبان نهوضها على أخلاق وفضائل ووطنية لم تكن لها حين اعتراها الهرم ، واعتراها الضعف ، فانتشرت فيها الرذائل ، وفشت الفحشاء ، وسادت حكامها الرشوة ، واعوجاج السيرة ، وانحطاط النفس ، فأضاعت هذه الفضائل دولتهم ، وجعلتهم أحاديث لمن بعدهم .

وبعد هذا الاستطراد أقول : إن مارميت إليه بمقالى هذا ، ولعلى أول قائل به ، من الناحية العلمية ، هو : وجود ناموس على مثال جميع النواميس ، يدعى بالناموس الأدبى ، ينظم العلاقات بين بنى الإنسان على قواعد العقل والحكمة والأدب العالى ، وإن الدليل على وجوده نشوء آثاره فى جميع الشعوب والجماعات البشرية بعد أن لم تكن ، وأن السعى لقلب أوضاعه فى الجماعات يقابل بعقاب يعم الجماعة التى تقر هذا القلب وتعمل به ، وهذا العقاب مشاهد محسوس ممن يدرس المآسى البيتية ، والخسائر المالية ، والمفاسد الاجتماعية ، التى تنخر عظام كل هيئة اجتماعية فى جميع العصور الإنسانية ، وهى فى هذا العصر أشد منها فى جميع العصور السابقة ، وقد وصلت إلى درجة احتمال تلاشى النوع الانسانى كله بتأثير القلاقل الموجودة فى جماعاته ، والأضغان المتأججة بين حكوماته . فالذين يدفعون منا الرجال الإباحة الحيوانية ، والنساء للتجرد من الخفر والتعدى على الآداب النسوية ، ويربون أطفالهم على عدم احترام أبويهم الخ الخ ، سيلاقون وبال أمرهم فى نشوء أجيال لا تقف من الطغيان عند حد ، وتجد من العقوبات الطبيعية على تعدى حدود الناموس الأدبى ، مثل ما تجده من التعدى على أى ناموس طبيعى . والفعال فى هذا كله مدبر الوجود الأعظم ، فإنه سبحانه أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ؟

محمد فريد وجدى

مكتبتنا العربية

حكم الشريعة

فى استبدال النقد بالهدى

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت

عضو جماعة كبار العلماء

قال الله تعالى « وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ، فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا، أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ، فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ[١] ».

وقال تعالى: « وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ »[٢].

وقال تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ، يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ، هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ، أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ، أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا »[٣].

---

(١) البقرة: آية ١٩٦ (٢) الحج: آية ٢٧، ٢٨ (٣) المائدة: آية ٩٥

مكتبتنا العربية

وقال تعالى « وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ ، لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ، فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ، فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ، كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (١) .

وقال تعالى : « ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ . لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ » (٢) .

وقال تعالى : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ ، وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ، وَلَا الْهَدْيَ ، وَلَا الْقَلَائِدَ ، وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ » (٣) .

بهذه الآيات الكريمة ، وبما صح من أحاديث الأضحية ، تقرر فى الإسلام أن إراقة الدم نوع من أنواع القربى الى الله ، وأن هذه القربة لا تقوم إلا بذبح الحيوان وإراقة دمه ، وأن التصدق بثمنه لا يغنى ولا يقع عند الله موقع القبول فى القيام بهذا المطلوب .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وقد تضمنت الآيات الكريمة النص على الهدى تارة على سبيل التعيين دون أن يكون له بدل ، وتارة على سبيل التعيين مع الالتجاء الى البدل عند العجز عن الهدى ، وثالثة على سبيل التخيير بينه وبين غيره .

كما تضمنت أن مكان الذبح فيما وجب ذبحه هو الحرم : « حتى يبلغ الهدى محله » ، « ثم محلها إلى البيت العتيق » ، « هدياً بالغ الكعبة » ، وكذلك تضمنت اعتبار البُدن والذبائح فى هذه الأماكن من شعائر الله التى تجب المحافظة عليها ، ولا يصح التهاون فيها أو إغفالها . وحسبنا « لا تحلوا شعائر الله » . والشعائر هى العلامات الواضحة الظاهرة التى اعتبرها الدين مظهرا من المظاهر العامة ، وهذا لا يتحقق إلا بعمل ظاهر يراه الناس فى مناسبات خاصة . وإذا أردت زيادة فى الإيضاح

(١) الحج : آية ٣٦ (٢) الحج : آية ٢٩ (٣) المائدة : آية ٢

مكتبتنا العربية

فانظر الى موقف الشريعة من الأذان : إذ اعتبرته شعيرة من شعائر الدين ، يقاتل أهل القرية أو المدينة على تركها وإن لم تكن من الفرائض .

ألا وإن للشعائر فى نظر الإسلام مكانة الفروض المقدسة . وعلى هذا اتفقت كلمة الفقهاء فى ذبائح الحج ، ولم نر لواحد منهم خلافا فى ذلك ، نزولا على حكم هذه الآيات الصريحة الواضحة ، وتحقيقا للغرض المقصود ، وهو التقرب الى الله بإراقة الدم ؛ ولله سبحانه وتعالى أن يتعبد عباده بما يشاء : بما يدركون حكمته ، وبما لا يدركون . وما كان اختلاف الفرائض فى عدد الركعات والكيفيات ، وتحديد الأوقات ، واختلاف مقادير الزكاة ، والكفارات ، وسائرما دخله العد ، أو اعتبرت فيه الكيفية - إلا نوعا من هذا التعبد الذى يتجلى فيه بوضوح مقتضى العبودية الحقة ، وهو الامتثال لأمر الرب الحكيم ، عقل معناه أو لم يعقل .

والعلماء يذكرون فى هذا المقام أن هذه القربة تذكّر بحادث الفداء الذى حصل لإبراهيم الخليل وولده عليهما السلام ، وتنبه النفوس المؤمنة إلى مبدأ التضحية فى سبيل الله وطاعته بأعز شىء لديها : « وفديناه بذبح عظيم » .

على أن فى العمل بهذه القربة سرا اقتصاديا يرجع إلى سكان البادية ، ولعله من مصداق دعوة أبيهم إبراهيم حين قال : « ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » . ذلك أن الماشية رأس مال أهل البادية ، وموسم الحج هو السوق التى تنفق فيه هذه السلعة ، عن رغبة لا مشقة فيها ، وبذا يحصلون على أرزاقهم من أعمالهم ، ومن ثمن أموالهم ، دون أن يتعرضوا لذل السؤال ، أو يترقبوا المن والعطاء .

من هذا يتضح جليا أنه لا يجوز للمسلمين أن يفكروا فى استبدال النقود بالهدى أو الأضاحى التى طلبها الشارع بذاتها ، إقامة للتصدّق بثمنها مُقامها ؛ إذ ليس القصد هو التصدق ، وإنما القصد - كما قلنا - التقرب بها نفسها . وإننا لو أبحنا لأنفسنا هذا النحو من التفكير - بناء على مانظن من حِكَم للتشريع - لانفتح علينا باب التفكير فى التخلى عن الأعداد والكيفيات التى طلبت فى كثير من العبادات ، ولأمكن لقائل أن

يقول : إن الغرض من الصلاة هو الخضوع ومراقبة الله ، وهما معنيان يحصلان بالقلب ، وبأى مظهر من مظاهر الخضوع والمراقبة ! فليست هناك حاجة إلى ركوع أو سجود أو غيرهما من كيفيات الصلاة الخاصة ؛ وبذلك ينفتح باب الشر على مصراعيه ، ولا يقف ضرره عند حد الأضاحى وفدية الحج .

أما ما يبررون به مثل هذا التفكير من أن لحوم الذبائح تتكدس فى منى ، وتترك للتعفن المفسد للجو ، أو للنار المذهبة للأموال : فهذه الحالة - إن صحت - ليست ناشئة عن أصل التشريع الذى هو خير كله ، وإنما نشأت عن عدم التنظيم ، وعدم الإلمام بأحكام الشرع ؛ فإن الشرع لم يطلب من كل حاج أن يذبح ، ولم يوجب أن يكون الذبح - فيما يطلب فيه الذبح - فى خصوص منى ولا مجزرتها ، ولا فى اليوم الأول من أيام النحر ، فأيام النحر كلها زمن للذبح ، والحرم كله مكان للذبح ، والذبح لم يطلب عينا إلا فى حالات مخصوصة ، وما عداها فالحاج مخير بينه وبين غيره : من صدقة أو صيام .

فلو عرف الحجاج أحكام الله على هذا الوجه فيما يختص بالدماء ، فتصدق من لم يطلب منه الذبح ، وذبح من طلب منه الذبح ، وفرقوا الذبح على الأماكن والأيام ، ثم تخيروا الذبيحة من غير العجاف والمرضى ، وهيئوها بالسلخ والتقطيع - لما كان لهذه الشكوى موضع ؛ ولكن جرت سنتنا فى التفكير أن نعُد الوضع الذى جرّت إليه العادات - وإن كانت فاسدة - صورة للتشريع ، فنحكم عليه بالقبح ، ثم نحاول التخلى عنه بالقضاء على أصله ، وبذلك ندخل فى باب من التغيير والتبديل فى أحكام الله ، ولا نلبث بعد ذلك أن نترك الشريعة كلها جانباً ، باستحساناتنا الفاسد المبنى على واقع جرّ إليه الجهل وعدم التنظيم .

وبعد : فإن الكلام فى هذا الموضوع ليس وليد اليوم ، بل سبق أن تحدث فيه المرحوم الهلباوى بك مع فضيلة المغفور له أستاذنا الأكبر الشيخ المراغى ، فأحال على فضيلته بحثه من الوجهة الفقهية الشرعية ، فعدت إلى فضيلته بعد البحث الطويل بأن الفقهاء جميعا يعتبرون التعبد فى هذه المسألة بإراقة الدماء ، دون أن أرى فى كلام واحد منهم ما يشير - ولو من بعيد - الى جواز استبدال النقود بها ؛ فاطمأن فضيلته الى هذا وأقره ، وقد عرضت على فضيلته اقتراحا هو :

مكتبتنا العربية

أنه على فرض تكدس اللحوم — كما يقولون ، بعد مراعاة الأحكام الشرعية فى زمان الذبح ومكانه ، وطلبه وعدم طلبه — يجب على المسلمين — وفيهم والحمد لله موسرون كثير — أن يعملوا على استخدام إحدى الوسائل الحديثة لحفظ هذه اللحوم وادخارها طيبة ، ثم توزيعها على الفقراء المحتاجين فى جميع الأقطار الإسلامية إن ضاق عنها القطر الحجازى ، أو بيعها بأثمان تصرف فيما ينفع الفقراء والمساكين ، أو فى سبيل الله العامة . وإنى أعتقد أن هذا المشروع متى كفله العاملان العظيمان المؤمنان : عامل مصر ، وعامل الحجاز ، رأينا آثاره ، وانتفع الناس بثمراته ، فى الموسم المقبل ، إن شاء الله .

هذا ما يجب أن ينزل عليه المسلمون فى فهم أحكام دينهم ، وفى تنظيم العمل بها ، والمحافظة عليها ، والسلام على من اتبع الهدى .

(مجلة الأزهر) الدين اعتقادات وتكاليف . فناحية الاعتقادات يشترط فيها عندنا تحكيم العقل ، فهو الرادع القوى للخيالات أن تسيطر على المعتقدات ، وما سمح لزعماء الأديان السابقة على الإسلام أن يُدخلوا فيها ما شاءت لهم الأهواء إلا إغفالهم تحكيم العقل ، بل زعم هؤلاء الرؤساء أن الدين لا يصح أن يخضع لحكم العقل . وما علموا أن هذا يفتح لهم باب الخيالات على مصراعيه فيحملهم رؤساؤهم مايروق لهم أن يحملوهم من الخرافات ليقتادوهم لطاعتهم كما يقتادون العجماوات .

ولكن التكاليف لا يمكن أن يشترط فيها هذا الشرط ؛ لأن من المتدينين جهالا وأنصاف متعلمين لا يتجاوز تعقلهم ما ألفوه فى محاولاتهم المحدودة ؛ بل المتعلمون لم يصلوا من العلم إلى نهايته ليدركوا حكم جميع التكاليف الدينية ، فما سنّته الشريعة الإسلامية من هذه التكاليف يجب قبولها بدون مناقشة فيها ؛ ألا ترى أن الطفل لا يعقل حتى فائدة الدواء فيهرب من تعاطيه ؛ بل ربما استنكر بعض القيود الصحية وعدها من أبويه تحكما ، فلما يكبر يدرك أن أبويه كانا على حق فيما ألزماه به منها .

وقد رأينا أن نذيل هذه المقالة القيمة لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت تأييداً لقوله ، ولله سبحانه وتعالى أن يتعبد عباده بما يشاء ، بما يدركون حكمته وبما لا يدركون » .

مكتبتنا العربية

من ذخائر السُّنة

أهداف الهجرة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ فكرى ياسين

أخرج الشيخان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يُصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته الى ما هاجر إليه » .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

* * *

تواتر النقل عن الأئمة فى فضل هذا الحديث ، وتعظيم قدره ، وكثرة فوائده ، وقد صدر به الإمامُ البخارى كتابه الصحيح اتباعاً لما كان يستحبّه السلف الصالح من تقديمه أمام كل شىء يبتدأ من أمور الدين ، لعموم الحاجة اليه ، وللتنبيه على مزيد الاعتناء بحسن النية ، والاهتمام بالإخلاص فى الأعمال ، وللإشارة الى أن كل عمل لا يُراد به وجه الله ، لا ثمرة له فى الدنيا ولا فى الآخرة .

واتفق كثير من الأئمة على أنه أحد الأحاديث التى يدور الدين عليها ، وأنه أصل عظيم من أصول الإسلام .

وقال عنه الحافظ ابن مهدى : لو صنّفت كتابا فى الأبواب ، لجعلت حديث عمر بن الخطاب فى الأعمال بالنيات رأس كل باب ، وينبغى لمن أراد أن يصنف كتابا أن يبدأ بهذا الحديث .

مكتبتنا العربية

وقد قيل فى سببه ومورده : إنه لما أُمر بالهجرة من مكة الى المدينة ، تخلّف جماعة عنها ، فذمهم الله بقوله : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا » ، ولم يهاجر جماعة آخرون لفقد استطاعتهم ، فعذرهم الله ، واستثناهم بقوله : « إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفوا غفورا » ، وهاجرت جماعة ثالثة ، فمدحها الله فى غير موضع من كتابه . واشتهر أنه كان بين المهاجرين رجل أراد أن يتزوج امرأة يقال لها : أم قيس ، فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر ، فهاجر لأجلها ، وتزوج بها ، وكانوا يسمونه مهاجر أم قيس ، فعُرض به ، تنفيراً عن مثل قصده .

وهذا السبب ، وإن كان خاص المورد ، لكن العبرة بعموم اللفظ . وذكر الدنيا مع المرأة من باب زيادة النص على السبب .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

* * *

صُدّر الحديث بكلمتين جامعتين ، وقاعدتين شاملتين ، هما : إنما الأعمال بالنيات ، و : إنما لكل امرىء ما نوى ، ويُراد من الجملة الأولى الإخبار عن الأعمال الاختيارية بأنها لا تقع من العامل إلا عن قصد هو سبب عملها ووجودها ، وبأن صلاح العمل وفساده إنما هو بحسب النية المقتضية لإيجاده ؛ ويُراد من الجملة الثانية الإخبار عن المرء بأنه لا يحصل له من عمله إلا ما نواه به ، فإن نوى خيرا ، حصل له خير ، وإن نوى شرا ، حصل له شر ؛ وبأن ثواب العامل على عمله بحسب نيته الصالحة ، وعقابه عليه بحسب نيته الفاسدة .

وليس المراد فى الجملة الأولى نفى ذات العمل ، لأن الذوات غير منفية ، إذ تقدير إنما الأعمال بالنيات : لا عمل إلا بالنية ، ولأن ذات العمل الخالى عن النية موجودة ، وإنما المراد نفى أحكامها المتعلقة بوجودها كالصحة والكمال على اختلاف التقدير فيها ، فقد قال الأئمة الثلاثة بأن التقدير فيها : إنما صحة الأعمال

مكتبتنا العربية

بالنيات ، وأدخلوا جميع الأعمال من الصلاة والصوم والزكاة والحج والوضوء ، وغير ذلك مما تطلب فيه النية ، عملا بمقتضى العموم . وذهب أبو حنيفة وأصحابه الثلاثة ، والثورى ، والأوزاعى وغيرهم : إلى أن التقدير : إنما كمال الأعمال ، أو ثوابها ، أو نحو ذلك بالنيات ، لأنه هو الذى يطرد ؛ فإن كثيرا من الأعمال يوجد ويعتبر شرعا بدونها .

وجعل بعضهم المقدر فى الجملة هو القبول ، فقال : إنما قبول الأعمال بالنيات ، لكنه تردد فى أن القبول هل ينفك عن الصحة أولا ؟ فعلى أنه ينفك هو كتقدير الكمال ، وعلى أنه لا ينفك هو كتقدير الصحة .

وقال بعضهم : لا حاجة إلى إضمار محذوف من الصحة أو الكمال ، أو نحوهما ، إذ الإضمار خلاف الأصل ، وإنما المراد حقيقة العمل الشرعى ، فلا يحتاج حينئذ إلى إضمار .

وعلى هذه التقادير جميعها ، فإن الخلاف ليس فى اشتراط النية فى المقاصد ، وإنما الخلاف فى اشتراطها فى الوسائل ، ومن ثم لم يشترطها الحنفية فى الوضوء مثلا ، لأنه مقصود لغيره لا لذاته ، فكيفما حصل ، حصل المقصود ، وصار كستر العورة ، وباقى شروط الصلاة التى لا تفتقر إلى النية .

وليس هناك تكرار بين الجملتين : فإن الحكم قد ذكر بالأولى ، وأكد بالثانية ، تنبيها على شرف الإخلاص ، وتحذيرا من الرياء المانع من الخلاص ؛ وإن الجملة الثانية دلت على أن الأعمال العادية التى لا تتوقف على النية ، قد تفيد الثواب إذا نوى بها فاعلها القربة ، كما دلت على أن من نوى شيئا يحصل له ثوابه ، وإن لم يعمله لمانع شرعى كمريض تخلف عن الجماعة .

ولما كان فى تينك الجملتين نوع إجمال ، ساق الحديث عقبهما مفرعا عليهما تفصيل بعض ما تضمنتاه زيادة للإيضاح ، ونصا على صورة السبب الباعث على هذا الحديث ، فذكر مثلا من الأمثال والأعمال المتحدة فى الصورة ، المختلفة صلاحا وفسادا باختلاف المقاصد والأهداف ؛ وقد بين فيه أن من هاجر إلى دار الإسلام حبّا لله ورسوله ، ورغبة فى تعلم دين الإسلام وإظهاره حيث كان

مكتبتنا العربية

يعجز عنه فى دار الشرك ، فهذا هو المهاجر حقا إلى الله ورسوله ، وأن من كانت هجرته من دار الشرك إلى دار الإسلام ، ليطلب دنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها فى دار الإسلام ، فهجرته إلى ماهاجر إليه من ذلك : فالأول تاجر ، والثانى خاطب ، وليس واحد منهما بمهاجر .

والأهداف المنشودة من الهجرة كثيرة ، وهى تتنوع بتنوع الغرض منها ، فالهدف فى الهجرة إلى الله ورسوله هو اتباع أمرهما ، وامتثال حكمهما ، وابتغاء مرضاتهما ، وهو كما ترى هدف واحد ، يتناول سائر أقسام الهجرة : من هجرة إلى الحبشة والمدينة ، وهجرة القبائل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ، وهجرة مانهى الله عنه ؛ ومن ثم اقتصر فى جواب الشرط على إعادته بلفظه . أما الأهداف فى الهجرة لأمور الدنيا ، فكثيرة لاتنحصر ومتعددة لا تقف عند حد ، ولا يجمعها غرض واحد : فقد يهاجر الإنسان من أجل تجارة ، أو إمارة ، أو زيجة ، أو تراث ، أو ثأر ، أو أى شأن آخر غير ذلك من شئون الدنيا ومطالب الحياة ؛ ولهذا عبّر فى الجواب بقوله : فهجرته إلى ما هاجر إليه ، إشارة إلى تحقير ما طلبه من أمور الدنيا ، واستهانة به . كما أشار بالأول إلى تعظيم الهجرة والمهاجر إليه .

وليست كل هجرة لأمور الدنيا مذمومة مطلقا ، فإن من نوى بهجرته مفارقة دار الكفر ، وتزوج المرأة معا ، لا تكون هجرته قبيحة ، ولا غير صحيحة ، بل هى ناقصة بالنسبة إلى من كانت هجرته خالصة ، وإنما المذموم هو طلب المرأة فى صورة الهجرة الخالصة ، فأما من طلبها مضمومة إلى الهجرة ، فإنه يثاب على قصد الهجرة ، لكن دون ثواب من أخلص ، وكذا من طلب التزوج فقط لا على صورة الهجرة إلى الله ، لأنه من الأمور المباحة التى قد يثاب فاعلها إذا قصد بها القربة كالإعفاف .

* * *

إنما : هى لتقوية الحكم الذى فى حيزها اتفاقا ، ولإفادة الحصر عند المحققين ، وهو إثبات الحكم للمذكور ، وصرفه عما عداه ؛ واختلفوا فى إفادتها الحصر ،

مكتبتنا العربية

هل هو بالمنطوق، أو بالمفهوم، أو بالوضع، أو بالعرف، أو بالحقيقة، أو بالمجاز، ورجّح بعضهم أنها بسيطة، ورجّح آخرون أنها مركبة من إن التوكيدية، وما الكافة، وهى حرف زائد.

والأعمال: جمع عمل، وهو حركة البدن بكله أو بعضه، وربما أطلق على حركة النفس، وآثر ذكر الأعمال على ذكر الأفعال، لأن لفظ العمل أخص من لفظ الفعل، فالفعل ينسب الى البهائم والجمادات، كما ينسب الى ذوى العقول، بخلاف العمل، فإنه يعتبر فيه القصد؛ وأما الصنع فهو أخص من العمل، لأنه لا يقال إلا لما كان من الإنسان بقصد واختيار بعد فكر وتحر.

والنيات: جمع نية، وهى لغة القصد، وشرعا: قصد الشيء مقترنا بفعله، فإن تراخى عنه كان عزما، أو يقال: قصد الفعل ابتغاء وجه الله، وامتثالا لأمره؛ وهى هنا محمولة على معناها اللغوى، ليطابق ما بعده من التقسيم. وجمعت باعتبار تنوعها، لأن المصدر إذا اختلفت أنواعه جمع كالعلوم، أو باعتبار مقاصد الناوى كقصده تعالى، أو تحصيل موعوده، أو اتقاء وعيده.

والنية فى كلام العلماء تقع بمعنيين: أحدهما: تمييز العبادة بعضها عن بعض، كتمييز صلاة الظهر من صلاة العصر، وتمييز صيام رمضان من صيام غيره، أو تمييز العبادات من العادات، كتمييز الغسل من الجنابة من غسل التبرد والتنظف، وهذه النية هى التى ترد كثيرا فى كتب الفقهاء؛ والمعنى الثانى تمييز المقصود بالعمل، وهل هو لله وحده، أو لله وغيره؟، وهذه النية هى التى يتكلم فيها العارفون، وتوجد كثيرا فى كلام السلف.

والامرؤ: الرجل خاصة، وخصه بالذكر لشرفه وأصالته، وغلبة دوران الأحكام عليه؛ وقيل: يشترك فيه الرجل والمرأة، وفيه لغتان: امْرِىء، كزبرج، ومَرْء، كفلس، ولا جمع له من لفظه، وعينه تابعة للامه فى الحركات الثلاث، قال تعالى: «إن امرؤ هلك»، وقال: «ما كان أبوك امرأ سوء»، وقال: «لكل امرىء»؛ وفى مؤنثه أيضا لغات: امرأة، ومرأة، ومرة؛

مكتبتنا العربية

وفى الحديث استعملت اللغة الأولى منهما من كلا النوعين ، حيث قال : « لكل امرىء » ، و : « الى امرأة » .

والهجرة : الانتقال من محل الى محل ، وأصلها هجران دار الشرك الى دار الإسلام ، كما كان يفعل المهاجرون قبل فتح مكة ، حيث كانوا يهاجرون الى الحبشة ، والى مدينة الرسول ؛ والمراد بها هنا مطلق الانتقال والتجاوز من شيء الى شيء صوريا أو معنويا . والهجرة انى الله معناها فى حقه تعالى ، إما على التشبيه البليغ ، أى كأنه هاجر إليه ، أو على حذف مضاف ، أى هاجر إلى محل رضاه وثوابه ورحمته ، أو يقال : إن الانتقال إلى الشيء عبارة عن الانتقال الى محل يجده فيه ، ووجدان كل أحد على ما يليق به ، فالمراد الانتقال الى محل قربه المعنوى وما يليق به .

والدنيا : هى ما على الأرض من الجو والهواء ، أو هى كل المخلوقات من الجواهر والأعراض الموجودة قبل الدار الآخرة ؛ وهى بضم الدال مقصورة غير منونة ، وقد تكسر وتنون ، وأنكر التنوين على القائل به ، وقيل: إنه لا يعرف فى اللغة ، والصحيح جوازه ؛ قال فى القاموس : والدنيا نقيض الآخرة ، وقد تنون ، وجمعها دُنى .

وسميت بذلك ، لدنوها إلى الزوال ، أو لسبقها الآخرة ، أو لدناءتها وخستها .

وقد ذكرت المرأة فى الحديث مع الدنيا ، وجعلت قسيما قائما بذاته مقابلا لها مع أنها داخلة فى مسماها باعتبارها من أفضل متعها ؛ إشارة إلى سبب ورود الحديث من الهجرة إلى المدينة للتزوج بها ، وإيذانا بشدة فتنة المرأة ، وزيادة فى الحث على اتقاء ضررها ؛ روى البخارى ومسلم وغيرهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما تركت فى الناس بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » .

مكتبتنا العربية

بين الشريعة والقانون

نظرات فى توثيق المعـــاملات المـالية

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكى
المفتش بالأزهر

التوثيق بالكتابة :

قلنا فيما سلف : إن علماءنا — أحسن الله إليهم — وقفوا من آية التوثيق فى الدَّين عند رأيين : ففريق يرى وجوب التوثيق على وجه الاطلاق ، وفريق يرى ندب التوثيق كذلك .

وقلنا : إن كلا من الرأيين مع ما استند إليه من أدلة ، لم يسلم من التوهين ، وإن المسألة لم تزل بحاجة إلى الاجتهاد والترجيح لأحد الرأيين ، أو لما يبدو من رأى ثالث .

ونحن إذا لم نتأثر بنزعة التعصب لفريق أو التحيز لأحد المذهبين ، وإذا وقفنا أمام النصوص وجها لوجه ، واستأنسنا بروح التشريع ، وما يقصد إليه من الخير للناس ، فجائز أن نهتدى إلى رأى تستريح إليه النفس .

وقد تحدثنا فى مطلع هذه البحوث عن شأن المعاملة المـالية فى حياة الناس ، ونحن نعلم إلى جانب ذلك أن الشريعة نهت عن التبذير ، وعن تعريض المـال للضياع فى مثل قوله تعالى « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » ، وفى مثـل قوله عليه السلام : « إن الله حرم عليكم عقوق الامهات ـ إلى قوله ـ وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة الأموال » (ص ٣١٣ ج ٤ تيسير الوصول) . فإذا جاءت آية الدين صريحة فى الأمر بالـكتابة والإشهاد ، محافظة على المـال ، ومنعاً من التنازع ، وجب أن نسايرها فيما وجهتنا إليه صراحة ، وأن ننزل بهـا عند ما قصدت إليه من الأغراض ، وأن نبعد بهـا عما يوهن مغزاها .

مكتبتنا العربية

بدأ الله سبحانه آية الدين بصيغة النداء « يأيها » التى يستعملها العرب فى مناداة البعيد حقيقة ، أو المنزل منزلة البعيد ، لزيادة التنبيه إلى المقصود ، ثم وصف الله عباده فى النداء بوصف الإيمان ، وفى هذا الوصف استنهاض لهم أن يحرصوا على ما وجه اليهم من التكليف ؛ فإن الإيمان الصحيح يقضى عليهم بذلك ؛ وكان ممكناً أن يخاطبهم بوصف غير ذلك مثل « يابنى آدم » « ياعبادى » « يأيها الناس » الخ ، ولكنه عدل إلى خطابهم بوصف الإيمان لإيقاظ شعورهم ، وإزالة الغفلة عن مداركهم ، ليزدادوا إقبالا على ما وراء النداء .

ثم ساق الله تعالى بعد النداء فى عرض الآية نحو اثنى عشرة صيغة من صيغ الأمر والنهى فى صدد كتابة الدين ، ومن الذى يكتب ، ومن يشهد ، ومن يملى على الكاتب من المدين أو وليه إذا كان هو ضعيفا الخ ، وكل هذه الصيغ واضح بين فى مدلوله ، فلا إجمال ، ولا تشابه ، ولا سوى هذين مما قد يخفى معه المراد .

ثم ختم الله الآية بثلاث صيغ يعتبر كل منها توجيها لما ساق من أمر ونهى ، وهى قوله تعالى « ذلكم أقسط عند الله » « وأقوم للشهادة » « وأدنى ألا ترتابوا » .

ومن هذا الأسلوب يتجه الذهن اتجاها أوليا إلى أن الاستيثاق الكتابى فى الدَّين واجب شرعا وإن لم يكن شرطا فى صحة التعامل . وليس فى الآية نص له من القوة ما لهذه النصوص أو ما يقرب من ذلك يصرفها عن الوجوب ، فإذا رأيت فقهاء المذاهب أو كثيرا من المفسرين يتجهون بعد ذلك الى القول بالندب كان قولهم - عندى - موضع الكثير من التردد ، وإن كان من بينهم علماء مذهبى - مع إجلالى لهم جميعا - وقد أسلفنا ما استند إليه القائلون بالندب . ومما زاده الحنابلة عن سواهم فى التخلص من القول بالوجوب أن عللوا للندب بقولهم : إنه أقطع للنزاع ، وأبعد من التجاحد ، ثم زادوا ثانيا فقالوا : إن الندب فى الكتابة والإشهاد خاص بماله خطر ، فأما الأشياء القليلة الخطر كحوائج البقال والعطار وشبهها فلا يستحب فيها ذلك ؛ لأن العقود فيها تكثر ، فيشق الإشهاد عليها ، وتقبح إقامة البينة عليها ، والترافع الى الحاكم من أجلها ، بخلاف الكثير . انتهى (ص ٣١١ ج ٤ مغنى) .

وليست هذه التوجيهات عندى بكافية فى التغلب على ما تعطيه الآية فى قوة من الدلالة على الوجوب .

مكتبتنا العربية

وتوضيح ما أقول من وجهين يطول فيهما السياق .

(الوجه الأول ، وفيه استطراد) : أن قوله تعالى « فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته » جزء أخير من الآية : إذ الآية ذات شقين : أحدهما فى الكتابة ، والثانى فى الرهن .

والجزء الذى معنا من الشق الثانى ، جاء بعد ذكر الرهن ، فهو بعيد نوعا عن سياق الأمر بالكتابة ، وهو من أجل موقعه هذا مؤد - فيما أفهم - لاحتمالات ثلاثة :

(ا) أن يكون كما قال الجمهور نسخا للوجوب أو بيانا من أول الأمر لأن المراد الندب ، ومع أن هذا ملتقى نظر الكثيرين ، فيبعده أن هذا الجزء جيء به بعد الانتقال من صدر آية فسيحة إلى عجزها ، وبعد استثناء التجارة الحاضرة مما يكتب ، وبعد الأمر بالاستشهاد على الكتابة ، والأمر كذلك بالإشهاد على البيع ، أى بعد الانتقال من هذا كله الى الكلام على الرهن ؛ والرهن طريق آخر من طرق التوثيق ، وذلك مما يبعد عن الذهن ارتباط هذا الجزء بما سبق أولا ؛ لا على جهة النسخ ، ولا على جهة البيان للمراد .

(ب) الاحتمال الثانى ، وهو أوجه من سابقه : أنه للحض على الأمانة فى الرهن بخصوصه إذا وقع به الاستيثاق ، إذ المفروض أن الرهن عين مالية كفيلة بسداد الدين ، وقد ترتفع قيمتها عن مقدار الدين يوما ما فيطمع فيها المرتهن ويجحدها مؤثرا حظ نفسه على مصلحة صاحبها .

وقد يهبط ثمنها عند الحلول عن مقدار الدين ، فيتخلى عنها صاحبها منكرا أنه مدين وأنها مرهونة من قبله . ولا يمنع من هذا الغرض تقدير وجود الشهود ، فإن الجمهور الذين نتجه إليهم بتلك الاحتمالات لا يرون الاستشهاد واجبا ، وعلى أصلهم هذا يجوز ألا يكون مع الرهن شهود ، أو كانوا وانعدموا ؛ فالتوثيق بالرهن مع كونه تأمينا لا يمنع احتمال التجاحد على ما صورته من جانب أحد المتعاملين ، ولا يكون الرهن كافيا فى حسن القضاء من المدين ، ولا فى حسن الاقتضاء من الدائن ، فكلاهما بحاجة إلى التذكير بالأمانة التى فى عهدته ؛ وهى الدين عند الاول ، والرهن عند الثانى ؛ وكل منهما مؤتمن من جانب صاحبه ، ومقصود بقوله تعالى « فليؤد الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربه » فلا يحيف الواحد بالآخر . ويساعدنى

مكتبتنا العربية

على هذا التوجيه أن الله عبر بالموصول وهو صفة لغير مذكور ، ويصح تفسيره بكل منهما أو بما يشملهما جميعا بأن يقال : فليؤد المدين الذى اؤتمن على الدين أمانته ، أو فليؤد الدائن الذى اؤتمن على الرهن أمانته ، أو فليؤد المؤتمن أمانته ، وكلاهما مؤتمن ولا ريب ؛ فتكون صلة الموصول وهى جملة « اؤتمن » موصوفا بها كل منهما ، وحيث كان الوصف الذى نيط به الأمر وتعلق به الحكم عالقا بكل منهما ، يكون التعميم مقصودا ؛ ولو لم يكن كذلك لقال : فليؤد المدين ـ مثلا ـ أمانته . وعلى هذا الاحتمال يكون ذلك الجزء من الآية قاصراً على الرهن المقرون به فى الذكر ، ولا شأن له بنسخ الأمر أولا ، ولا ببيان أنه للندب كما يريد القائلون فى تكلف .

الاحتمال الثالث : أن نتوسع فى توجيه ذلك الجزء من الآية ، فلا نجعله خاصا بالكتابة كما ذهب القائلون بالندب ، ولا نجعله خاصا بالرهن كما قلت فى الاحتمال الثانى ، ولنا فى هذا التوسع أفهام ثلاثة :

الفهم الأول ـ وقد قال به ابن جرير والضحاك ، واختاره الشيخ محمد عبده ـ أن نجعل هذا الجزء محمولا على حالة الضرورة التى لا يتيسر فيها كتابة ولا رهن ، فتكون المداينة مستندة إلى مجرد الأمانة للضرورة التى أباحت عدم الاستيثاق .

الفهم الثانى : أن الآية اشتملت على الأمر بالاستيثاق وجوبا بالكتابة أو بالرهن بدلا منها ، ولم يقف التكليف عند هذا الحد ، بل أمر كل من المتعاملين فى الجزء الذى نتحدث عنه أن يؤدى الأمانة التى ارتبط بها التعاقد على وجه الكمال ، وأن يتقى الله ربه فى الوفاء بها كذلك ؛ والمعنى : إذا تم بينكم التعاقد والاستيثاق الواجب بالكتابة أو بالرهن أو بهما معا ، فعليكم واجب آخر بعد هذا ، وهو أن يرعى كل منكم حق الأمانة فيؤدى المدين دينه ، ولا يماطل ولا يتنصل من الوثيقة بتزييفها أو الطعن عليها بأن صاحبه تلاعب فيها أو عبث بها ، ولا يتركها إن كانت عينا ، ويجحد ما عليه منكرا أصل التعامل .

وكذلك الدائن ، عليه أن يؤدى الأمانة التى عنده ، وهى الوثيقة الكتابية أو العين المرهونة ، فلا يحرف الكتابة ، ولا ينقص العين المرهونة ، ولا يخون باستعمالها استعمالا غير مسموح به ، ولا يتلكأ فى تسليم الوثيقة إلى صاحبها حين

مكتبتنا العربية

الوفاء ، مخافة أن يثير التلكؤ نزاعا بينهما ، أو مخافة أن تبق حتى تنتقل إلى ورثة الدائن ، فيعودوا إلى المطالبة بالدين ، أو يدّعوا ملكها إن كانت عينا .

ذلك كله ، لأن المعاملة وإن كانت موثقة بكتابة أو رهن ، مبنية على فرض الأمانة فى الجانبين ابتداء ودواماً ؛ فإن الله تعالى يأمر المتعاملين أن يؤديا الأمانة ويتقيا الله ربهما .

الفهم الثالث ، الذى يصح أن نأخذ به وهو يتفق نوعا مع توجيه حسن للشيخ رشيد رضا : أن يكون هذا الجزء من الآية مرادا منه عموم الأمانات التى تشمل ما نحن فيه وغيره ، فكأن الله عز شأنه بعد أن بين حكم الاستيثاق بالكتابة والإشهاد والرهن ، عمم فى أمره بالأمانة فى المعاملة ليشمل ما كان موثقا وما لم يتيسر توثيقه ، وما كان مؤجلا وما كان حالا ، وما كان معاوضة ، وما لم يكن معاوضة .

وفى هذا العموم تدخل الوديعة والعارية واللقطة ، وكل ما تناولته اليد بغير تعاقد ، كما دخل القرض والبيع المؤجل والناجز لما فيه من ضمان الدرك ، فكل واحد من هذه الأنواع بحاجة إلى الصدق حتى يؤدى المدين دينه فى كرم ووفاء ، ويتقاضى المستحق حقه فى رفق وحسن اقتضاء ؛ وحتى لا يكون فى البيع خلابة ـ غش ـ ولا تدليس ، ولا يتقدم أحد المتبايعين إلى صاحبه بشىء مستحق لغيره ليكون كلاهما ضامنا لعهدة ما بذله من ثمن أو مثمن ضمانا صحيحا .

وإلى هذا كله أرشدنا النبي صلوات الله عليه بما فعل فى الوثيقة التى كتبها للعداء بن خالد ، وقد باع النبي عليه السلام عبدا ، أو أمة ، على ما تقدم نقله عن الترمذى ، فكانت الوثيقة لضمان العهد فى المبيع : وأرشدنا كذلك عليه السلام بقوله فى حديث جابر « رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى ، وإذا اقتضى » وبقوله « إذا تبايعت فقل لا خلابة » أى اشترط عدم الغش ، وهكذا فى غير حديث .

وبذلك كله أمرنا الله سبحانه وتعالى أمرا عاما فى قوله « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » ولهذا الإسهاب خلاصة سنعرض لها إن شاء الله وكان فى الأجل بقية .

مكتبتنا العربية

عبرة وعظة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ الطيب النجار
المدرس بكلية أصول الدين

تلك الحوادث والقوارع التى تنزل بالأفراد والجماعات ، ممن زاغت قلوبهم وعميت بصائرهم ، وانحدروا عن جادة الصواب ، وابتعدوا عن الحق ، جزاء وفاقا لما اكتسبت أيديهم ، وزينته لهم نفوسهم الخبيثة ، وأهواؤهم الفاسدة ـ عبرة لذوى الألباب وعظة ، لأنها تترك فى نفوس من يعلمونها مشاهدة أو سماعا أثرا يوقظهم من سباتهم ، وينبههم من غفلتهم ، ونورا يسعى بين أيديهم وأرجلهم ، ومرشدا يصرفهم عن المثالب والمهالك ، ويهديهم للتى هى أقوم وأجدى عليهم وأنفع .

من أجل ذلك ترى المزعجات والكوارث ، والآفات التى تصيب الأنفس والثمرات ، لاتكاد تعدو جيلا من الأجيال ، ولا عصرا من العصور ، ولا تكون من ساحته بمنجاة ، بل أصبحت متآخية مع الزمن ومتحالفة معه ، لا تبتعد عنه ولا يبتعد عنها ، نذيرا لأهله ، وآية لهم زاجرة ، علهم يعتبرون ويتعظون .

وترى كتاب الله الذى لا ينطق إلا بالحق ، يحدث كل العصور بما كانت عليه بعض الأمم السابقة : من حضارة وعمران ، وتطاول فى البنيان ، وجنات معروشات وغير معروشات ؛ وما أجمل هذا الحديث وأحلاه ! فهو حديث مستطاب ، يلقى السامع له بالاً بأذن صاغية ، وقلب واع ، وشعور مرهف ، لأنه حديث تعلق بمحبوبه وقرة عينه وأشهى مرغوب فيه ؛ تعلق بما هو زينة الحياة الدنيا وبهجتها ، وأشرب فى كل قلب حبه والحرص عليه ، والتماس كل الطرق فى سبيل الوصول اليه ، مهما كلفه ذلك من جهد ونصب وإعياء وكلل ؛ لذلك تراه ينطبع فى نفسه ، ويستقر فى ذهنه ، ويحسب أنه بين أحضانهم يعاصرهم ويعيش معهم ، وكأنه ينعم بما ينعمون ، يستنشق طيب الهواء ، ويشرب من نمير الماء ، ويأكل فاكهة تم نضجها

مكتبتنا العربية

وطاب مذاقها ، وبينما هو معهم فى نعمة فاكهين إذ يقرع سمعه أنهم بُدلوا بنعيمهم بؤسا وشقاء ، وبخيرهم شرا وضرا وطعاما غير مستساغ ، جزاء لهم على كفرهم وعدم شكرهم لمن أنعم عليهم بتلك النعم الجزيلة .

إذ ذاك يفيق من سباته ، ويدرك أن الحديث بشأن قوم سابقين بطروا النعمة وجحدوها ، فأزالها عنهم وأذاقهم لباس الجوع والخوف ، وحالفتهم صروف الليالى وقوارعها ، ونوائب الأيام ونوازلها « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » .

إذ ذاك يعلم علم يقين أن كفر النعمة يوجب زوالها ، وما أحرص الناس عليها ! ويترك فى النفس أسى ولوعة ، وما أشد ذلك على النفس وأمرّه ! .

وإنك لتجد هذا يتجلى بصورة واضحة فى مثل قول الله تعالى « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية : جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازى إلا الكفور [1] » .

جعلهم الله أحدوثة سائرة ، وعظة زاجرة ، ومثلا مضروبا ، ولسانا للحق ، وحجة على الباطل ، وهداية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ولذلك لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح المشركين من الإعراض والتكذيب والاستهزاء ، فى الآيات الرابعة والخامسة والسادسة من سورة الأنعام ، وعظهم بالقرون الماضية ، فقال عز من قائل « ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم ، وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ، وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم ، فأهلكناهم بذنوبهم ، وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين » .

---

(١) سبأ : اسم قبيلة . ومسكنهم مأرب باليمن . جنتان : جماعتان من البساتين . العرم : المطر الشديد . والأكل : المأكول . والخمط : ثمر مر ؛ أى ذواتى أكل مر بشع . والأثل : شجر يشبه شجر الطرفاء لا ثمر له ، وهو معطوف على أكل لا على خمط لأن الأثل لا أكل له .

مكتبتنا العربية

ومن ذا الذى لا يعتبر ولا يتعظ ، ولا يرعوى عن غيه وضلاله ، حينما يسمع قول الله فى شأن فرعون وقومه : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوما آخرين . فما بكت عليهم السماء والأرض ، وما كانوا منظرين » .

ولمكان العبرة فى ذلك وجلالها وعظيم أمرها ، جاء هذا النوع فى كتاب الله مستفيضا ، وجاء فيه الحث على الضرب فى مناكب الأرض والسير فيها ، والنظر فى آثار الهالكين ، ليشاهدوا بأنفسهم الدليل المادى على سوء مغبة الزائغين كيف كان مصرعهم وهلاكهم ، فقال « قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين » ، « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » .

وكما يرشدنا القصص القرآنى الى أن كفر النعمة يوجب زوالها ، فضلا عما أعد من العذاب الشديد ، كذلك يرشدنا الى أن طاعة الله وشكره على نعمه يوجبان حفظها والمزيد منها ، فها هو ذا داود عليه الصلاة والسلام أطاع ربه وأناب إليه وشكره على نعمه ، فألان له الحديد ، وعلمه صنعة الدروع ، وأنعم عليه بابنه سليمان الذى ورثه ملكه وعلمه وحكمته ، « ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا إنى بما تعملون بصير [1] » ، « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد » .

وعلى الجملة فالقصص القرآنى يقطع نياط قلوب المستهزئين ، ويخلع أفئدة العتاة المستكبرين : شهر سيف التخويف والوعيد فى وجوههم ، ولوح بغصن الزيتون ولين العيش للمعتبرين المتعظين .

---

(١) أوبى معه : أى رجعى معه التسبيح . ونصب الطير بالعطف على فضلا . ألنا له الحديد أى جعلناه لينا كالشمع يصرفه فى يده كيف يشاء من غير إحماء بنار ولا ضرب بمطرقة « سابغات : دروعا واسعات - وهو أول من اتخذها على ما قيل . وقدر فى السرد : أى قدر فى مساميرها فلا تعملها دقاقا ولا غلاظا .

مكتبتنا العربية

فهو يعلم دماثة الأخلاق، ويصفى النفوس، ويهذب الطباع، ويخمد سورة الغضب، ويلين العريكة، وهو المثل الأعلى فى نشر مطارف الحكمة والآداب العالية، وإنارة طريق الخير لمن أراد سلوكا.

هذا وإن القصة الواحدة لتذكر غير مرة فى مواطن كثيرة وفى غير سورة واحدة، ولا يحملنك هذا على أن يأخذك العجب من تكرار فى كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، لأن ذلك لمزايا وحكم سامية قصدها محكم الآيات مدبر الكائنات، العالم ببواطن الأمور وخفيات الأسرار.

قد تذكر القصة مشتملة على زيادة فى سورة ومكان لاقتضاء الحال والمقام ذلك، وتأتى فى سورة أخرى أو فى مكان آخر من غير هذه الزيادة لاقتضاء الحال عدم ذكرها. وقد تذكر القصة فى موطن على طريق الإطناب، وفى موطن آخر على طريق الإيجاز، ليتجلى إعجاز القرآن ومبلغ فصاحته، ورصانة لفظه، وجودة نظمه على كلتا الطريقتين. وإنك لتقرأ القصة فى موضع، ثم تقرؤها فى آخر وآخر، وفى كل هذا تشعر كأنك تنتقل من روضة الى روضة، تشاهد زهورا ذات ألوان تأخذ بالأبصار، تشاهد تنسيقات بديعة تسحر العيون وتملك الألباب، تقتطف من يانع الثمار، وتجنى من كل مائد وطاب، وفى كل هذا لا يمل القارىء ولا يسأم السامع، بل تزداد الحلاوة وتظهر الطلاوة، وتتقشع غشاوات الأبصار، وتستنير القلوب، وتصفو النفوس، وتذعن العقول الجبارة، بأن هذا كلام خلاق القوى والقدر، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

رفض النصيحة

قال سبيع لأهل اليمامة بعد إيقاع خالد بهم:

يا بنى حنيفة: بُعدا لكم كما بعدت عاد وثمود، والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه، كأنى أسمع جرسه، وأبصر غبه، ولكنكم أبيتم النصيحة، فاجتنيتم الندامة. وإنى لما رأيتكم تتهمون النصيح، وتسفهون الحليم، استشعرت بكم اليأس، وخفت عليكم البلاء. والله ما منعكم التوبة، ولا أخذكم على غرة. ولقد أمهلكم حتى مل الواعظ، وهزىء الموعوظ.

مكتبتنا العربية

مفردات فلسفية

دين

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
مدرس الفلسفة بكلية أصول الدين

أولا ــ فى الفرنسية :

ا ــ قد يراد بهذا الاصطلاح نظام اجتماعى تأخذ به أنفسها طائفة من الناس يوحد بينها :

أولا ــ القيام بأنواع خاصة من الشعائر والأعمال المطردة .

ثانياً ــ الاعتقاد فى قوة أو قيمة مطلقة ، أى حقيقية بمعنى الكلمة حتى لا يمكن أن يوازن شيء مما بها ، ويكون هذا الاعتقاد هو الغرض الذى تعمل الطائفة على تمكينه دائماً فى القلوب .

ثالثاً ــ الاتصال بقوة روحية يراها المرء أعلى منه ، قوة يتمثلها منتشرة فى الكون [وهذا مذهب الحلول] ، أو ذات كثرة ، أو متوحدة وهى حينئذ : الله .

ب ــ وقد يراد به نظام يصطنعه الفرد لنفسه ، أو بعبارة أوجز : نظام فردى : من العواطف والاعتقادات والأعمال التى تتخذ الله موضوعا لها . وفى هذا المعنى يقول إميل بُوتْرو E. Boutroux فى كتابه « العلم والدين » ص٣٩٢ : الدين على التحقيق هو أن يتخذ المرء ، بجانب وجهة نظر العلم ، وجهة نظر العاطفة والإيمان La foi .

وتعبير « الدين الطبيعى » (وكان يستعمل خاصة فى القرن الثامن عشر) يراد به الاعتقاد فى وجود الله وروحانية النفس وخلودها ، وطابع الالتزام للعمل

مكتبتنا العربية

الأخلاق ، على أن يكون مصدر ذلك كله وحى الضمير والنور الداخلى الذى يثير كل إنسان . ولهذا ينقد جان جاك روسو فى كتابه « إميل » المسيحيين الذين يتكلفون أن يخلطوا بين هذا الاعتقاد ، أو الدين الطبيعى ، وبين الإلحاد أو عدم الدينية .

(ج) وأخيرا ، قد يراد بكلمة « دين » احترام يجنح الى المبالغة لمبدأ أو عادة أو عاطفة أو نحو ذلك ؛ ومن ثم يقال : « دين الكلمة المعطاة » . وهذا المعنى الذى هو أقدم معانى كلمة « دين » على الاحتمال الغالب ، كان فى الماضى أكثر استعمالا منه اليوم .

(د) وإذا تركنا « لالاند » وقاموسه الضخم فى المقدمات الفلسفية ، نجد القسيس إيلى بْلان « Elie Blanc » فى معجمه الفلسفى يذكر أن الدين مجموع مذاهب وعقائد تتعلق بعلاقة الإنسان بالله . وهذه المذاهب اختلفت باختلاف الأزمان والشعوب ، بل تعارضت فيما بينها فى مسائل هامة ، ومن ثَم كان ما تعرف من ديانات عديدة : الوثنية ، اليهودية ، المسيحية ، والإسلام . ثم يعقب المؤلف على هذا بقوله بأنه لا يوجد فى الحق بين هذه الأديان إلا دين حق واحد ؛ وهذا الدين لم يولد كاملا ، بل كمل مع الزمن ، مثله فى ذلك مثل كثير من المذاهب المختلفة .

تعليقات :

١ — اشتقاق كلمة « دين » مختلف فيه : فأغلب القدامى ، ومنهم القديس أغسطونيوس المتوفى عام ٤٣٠ م ، يرجعون هذه الكلمة إلى كلمة « ربط » ، ومن ثَم يرون فيها معنى الصلة . والرباط سواء كان رباطاً فيه معنى الإلزام ببعض الشعائر ، أو فيه معنى الصلة بين الناس بعضهم ببعض ، أو بين الناس والآلهة أو الإله .

وفى اللغة اللاتينية ، قد تدل كلمة « دين » بصفة عامة ، على عاطفة الخوف والخشية فيما يحس به الإنسان من التزام نحو الآلهة ، والقول فى ذلك العصر بآلهة متعددين جعل عندهم كثرة فى الأديان ؛ وحين وصل الإنسان الى الاعتقاد فى إله واحد ، جرّه حتما إلى القول بدين واحد هو وحده فى نظر أصحابه الدين الحق .

مكتبتنا العربية

ومنذ هـذا اليوم صارت كلمة « دين » تدل على هـذه النواحى الثلاث : مجموعة الحقائق التى يؤكدها الدين ، مجموعة الأعمـال الشعائرية ، العلاقـة المباشرة بين الروح والله . وهذا المعنى صار ، فى أيامنا هذه يعدل المعنى الأول والثانى . ج . لاشيليبه J. Lachelier عن « لا لاند » .

٢ — إن الذى يكوّن حقا ماهية الدين هو التمييز بين نوعين من الوجود بين عالمين يختلف الواحد منهما عن الآخر . وهذا على ما يلوح ، هو فكرة إيكين Eucken حينما يذهب إلى أن ما هـو أساس أو ذاتى فى الدين ، فى كل صـوره وأشكاله ، هو أن نرى فى مقابل العالم الذى يحيط بنا نوعا آخـر من الوجـود . ومن الممكن ـ كما يقول ـ أن يكون دين بغير العقيدة فى إله ، كما يثبت هذا الدينُ البوذىُ القديم ، ولـكن كلمة « دين » تكون كلمة لا معنى لها إذا لم نقر بوجـود عالمين ، وبوجود نوع آخر من الوجود أسمى ، بما لا يقدر ، من الوجود الذى نحسه . ج . بِنْـريبى J. Benrubi عن « لا لاند » أيضا .

ثانياً — فى اللغة العربية :

١ — فى لسان العرب : أن الدين هو الجزاء والطاعة والعادة والإسلام .

٢ — وفى مفردات الاصفهانى : أن الدين يقال للطاعة والجـزاء واستعير للشريعة ، والدين كالملة .

٣ — ويرى الشهرستانى (حـ ١ : ٤٦ — ٤٧) أن الدين الطاعة والانقياد ، وأنه قـد يرد بمعنى الجزاء والحساب ، وأن الملة والشريعة يتفرعان عن اجتماع الناس وحاجتهم فى سبيل خيرهم للتمانع والتعاون .

٤ — والجرجانى فى التعريفات (ص ٧٢ — ٧٣ طبع استانبول) يذهب إلى أن الدين والملة متحدان بالذات ، مختلفان بالاعتبار ؛ فالشريعة من حيث إنها تطاع تسمى ديناً ، ومن حيث إنها تجمع (أى تجمع الناس على الأخذ بها) تسمى ملة . وقيل بينهما فرق ، وهو أن الدين من الله والملة من الرسول .

مكتبتنا العربية

٥ — وبعد هؤلاء جميعا نجد التهانوى (الكشاف ـ مادة دين) بعد ما بين معانى الدين اللغوية ، يقول بأن الدين وضع إلهى سائق لذوى العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل . ويطلق على ملة كل نبى ، وقد يختص بالإسلام . ويضاف إلى الله لصدوره عنه ، وإلى النبى لظهوره منه ، وإلى الأمة لتدينهم به وانقيادهم له .

هذا ، والدين إذا لم يقيد بأنه وضع إلهى ، أى إذا لوحظ من الناحية اللغوية وحدها ، يطلق على الدين الحق وعلى الأديان الباطلة أيضا ، ما عدا ما لا يقر بالبعث والجزاء منها ، لأن معنى الجزاء ملاحظ فى أصل اشتقاق كلمة « دين » من « دان » على ما هو معروف . والقرآن ، حين يقول « لكم دينكم ولى دين » ، يفيد تحول كلمة « دين » للباطل أيضا من الأديان . لكن الدين الحق ليس فى رأى الشرع ، إلا ما كان وحيا من الله للمصطفين من خلقه لهداية الناس الصراط المستقيم ، بما يجىء به من العقائد والأصول التى لا يختلف فيها الرسل . ويدل لذلك قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » . أى أوصيناك يا محمد وسائر الأنبياء دينا واحدا .

وبعد : من هذا الذى رأيناه فى معنى كلمة « دين » عن المفكرين الغربيين والعلماء المسلمين ، نستطيع أن نؤكد أنه ليس من اليسير تحديد هذه الكلمة تحديدا جامعا مانعا كما يقولون ، تحديدا يرضاه جميع من عرض لبيان معناها . إذاً ، لنا أن نكتفى بالقول بأن التحديد الذى نستخلصه مما سبق ونرضاه ، يجب أن يلاحظ فيه شعور المرء أو إحساسه بقوة عليا ، أو كائن أعلى عُلوًّا مطلقا ؛ وعاطفة تدفعه للإيمان به وتجعل بينه وبينه صلة وثيقة حتى لتلزمه بعبادته على مظاهر مختلفة ؛ وبعد هذا وذاك ، يقين المتدين بأن هذا الكائن الأعلى ، أو الإله ، سيدينه فى اليوم الآخر بما فعل فى هذه الحياة الدنيا ؟

مكتبتنا العربية

الركن الشرعى للجريمة

فى الشريعة الاسلامية وفى القوانين الوضعية

سريان القانون على المكان

لحضرة الأستاذ الدكتور أحمد محمد إبراهيم
القاضى بمحكمة المنيا الوطنية

القاعدة العامة فى التشريعات الحديثة ، هى : أن القوانين الجنائية إقليمية : بمعنى أنها تسرى على كل من يرتكب جريمة على أرض الدولة بصرف النظر عن جنسيته ، فيستوى أن يكون من رعايا الدولة التى وقعت فيها الجريمة ، أو من رعايا دولة أخرى . وهذا المبدأ لم يسد إلا حديثا ؛ وكانت القاعدة القديمة هى : أن القوانين الجنائية شخصية ؛ أى أن قانون الدولة يسرى على رعاياها دون سواهم ، ويسرى عليهم فى أى مكان وجدوا ؛ فهو ينطبق عليهم إذا ارتكبوا جريمتهم فى دولتهم ، كما يسرى عليهم إذا ارتكبوا الجريمة فى دولة أخرى . فإذا افترضنا أن انجليزيا ارتكب جريمة فى مصر ، وجبت محاكمته فى مصر ، وخضوعه للقضاء المصرى وللقوانين المصرية ، ما دمنا نأخذ بقاعدة إقليمية القانون . أما إذا أخذنا بمبدأ شخصية القانون فليس من حق مصر أن تحاكمه ؛ بل تختص بمحاكمته الدولة التى يتبعها دون سواها .

ويرجع الأخذ بمبدأ إقليمية القانون الجنائى إلى أنه مفروض على كل شخص العلم بقانون الدولة المقيم على أرضها ؛ فإذا خالفه استحق العقاب ؛ كما أن الجريمة لا تخل إلا بأمن الدولة التى وقعت فيها ؛ ولكى يكون للعقوبة أثرها الرادع لابد من محاكمة الجانى حيث ارتكب جريمته ؛ أما إذا عوقب فى الخارج فإن هذا الأثر قد ينعدم ، فالغالب أنه لن يشعر أحد بمحاكمته أو بالعقوبة التى وقعت عليه . وفضلا عن ذلك فإن الجريمة لا يسهل إثباتها على الجانى إلا إذا تمت المحاكمة

مكتبتنا العربية

فى مكان ارتكابها ، حيث آثار الجريمة وشهودها ، ولو جازت محاكمة الجانى فى الخارج لتعذر إثبات الجريمة فى كثير من الأحيان .

ويترتب على الأخذ بمبدأ إقليمية القانون الجنائى أن كل دولة تختص بالعقاب على كل الجرائم التى تقع على إقليمها مهما كانت جنسية مرتكبيها ، وعلى العكس من ذلك لاسلطان لها على من يرتكب جريمة خارج حدودها ولو كان من رعاياها . ولكن هذا المبدأ بنتائجه لا يؤخذ به على إطلاقه . فكل دولة ترى أن من الواجب على رعاياها فى الخارج أن يكونوا حسنى السمعة ، وليس مما يشرفها أن يكونوا من المجرمين ؛ ولذا فإنها تعاقب رعاياها الذين يرتكبون جرائم خطرة فى الخارج متى عادوا اليها . ومن جهة أخرى فإن سهولة المواصلات بين الدول جعلت من الممكن أن يرتكب بعض الأجانب جرائم ضد دولة من الدول دون أن يدخلوا إقليمها . وقد استدعى ذلك من الدول أن تعاقب من يرتكب نوعا معينا من الجرائم المخلة بأمنها وسلامتها ، أيا كانت جنسية مرتكب الجريمة ، ولو كانت الجريمة لم ترتكب إلا خارج إقليمها .

ونذكر على سبيل المثال للقوانين الحديثة نصوص قانون العقوبات المصرى فى هذا الموضوع :

مادة ١ — تسرى أحكام هذا القانون على كل من يرتكب جريمة من الجرائم المنصوص عليها فيه .

مادة ٢ — تسرى أحكام هذا القانون أيضا على الأشخاص الآتى ذكرهم :

أولاً : كل من ارتكب فى خارج القطر فعلا يجعله فاعلا أو شريكا فى جريمة وقعت كلها أو بعضها فى القطر المصرى .

ثانيا : كل من ارتكب فى خارج القطر جريمة من الجرائم الآتية :

(ا) جناية مخلة بأمن الحكومة مما نص عليه فى البابين الأول والثانى من الكتاب الثانى من هذا القانون [1] .

(١) الباب الأول خاص بالجنايات المضرة بالحكومة من جهة الخارج . والباب الثانى خاص بالجنايات والجنح المضرة بالحكومة من جهة الداخل .

مكتبتنا العربية

(ب) جناية تزوير مما نص عليه فى المادة ٢٠٦ من هذا القانون .

(جـ) جناية تزييف مسكوكات مما نص عليه فى المادتين ٢٠٢ و ٢٠٣ من هذا القانون ، بشرط أن تكون المسكوكات متداولة قانونا فى القطر المصرى .

مادة ٣ — كل مصرى ارتكب وهو خارج القطر فعلا يعتبر جناية أو جنحة فى هذا القانون ، يعاقب بمقتضى أحكامه إذا عاد الى القطر المصرى ، وكان الفعل معاقبا عليه بمقتضى قانون البلد الذى ارتكب فيه .

فالمادة الأولى : تقرر القاعدة العامة وهى إقليمية القانون الجنائى ، فتقضى بأنه يسرى على كل من يرتكب جريمة نص عليها فيه ، ولم تفرق بين جنسية وأخرى ؛ فالجانى يعاقب مهما كانت جنسيته . وأما المادة الثانية : فحددت بعض الجرائم الخطرة وأعطت الدولة حق عقاب مرتكبها ولو ارتكب جريمته خارج مصر . والمادة الثالثة : تقضى بخضوع المصرى لقانون دولته إذا ارتكب جريمة فى الخارج يمكن وصفها فى مصر بأنها جناية أو جنحة ، فإذا كانت مخالفة فلا محل لعقابه ، ويشترط أن يكون الفعل الذى وقع من المصرى معتبرا جريمة فى الدولة التى وقع فيها ، أما إذا كان الفعل مباحا هناك فلا محل لعقاب المصرى ولو كان هذا الفعل معاقبا عليه فى مصر ، اللهم إلا إذا خضع المصرى بجريمته لأحكام المادة الثانية .

ويشترط وفقا لأحكام المادة الثالثة ، أن المصرى لا يعاقب على فعله الذى وقع منه فى الخارج إلا إذا عاد الى مصر ، فطالما كان فى الخارج فلا شأن لدولته به .

واضح مما سبق أن أحكام القانون المصرى مزيج من مبدأى إقليمية القانون وشخصيته ؛ فهو إقليمى إذ أنه يسرى على كل القاطنين فى مصر ، وهو شخصى إذ يسرى على المصريين فى الخارج إذا توافرت الشروط التى تطلبتها المادة الثالثة . بل وأكثر من ذلك فإن القانون المصرى يمد سلطانه على رعاياه وغير رعاياه الموجودين فى الخارج ، متى وقعت منهم جريمة من الجرائم المنصوص عليها فى المادة الثانية .

بقى علينا أن نبين معنى إقليم الدولة ؛ ويقصد به الأرض التى تتكون منها

مكتبتنا العربية

بحدودها السياسية المعروفة بها لدى الدول ؛ وسيادة الدولة لا تشمل أرضها فحسب ، بل تشمل الجو الذى يظلها ، وكذلك مياهها الإقليمية إذا كانت متصلة ببحر من البحار العامة . والمياه الإقليمية مقدرة فى القانون الدولى العام بثلاثة أميال بحرية .

والسفن تعد جزءا من إقليم الدولة التابعة لها السفينة طالما لم تكن فى المياه الإقليمية لدولة أخرى ، وكل إخلال بالقانون يقع على ظهرها يعتبر إخلالا بقانون الدولة التابعة لها السفينة . والعلة فى تقرير هذه القاعدة هى أن البحار العامة لا مالك لها ، وليس لدولة دون أخرى أى سلطان عليها ، وإزاء ذلك فإن القانون الذى يمكن تطبيقه على من يرتكب جريمة فى السفينة هو قانون الدولة التابعة لها السفينة ، ولا يوجد ما يرجح تطبيق قانون آخر عليه . وقد ترتب على ذلك أنه إذا كانت السفينة وقت ارتكاب الجريمة فى المياه الإقليمية لدولة من الدول فإن قانون هذه الدولة هو الذى يسرى لا قانون الدولة التى تتبعها السفينة .

هذه هى الأحكام الوضعية فى حكم سريان القانون على المكان ، ذكرناها بإيجاز ، وننتقل بعد ذلك الى بيان أحكام هذا الموضوع فى فقه الشريعة .

« يتبع »

ملاحظة (١) أثناء طبع الأجزاء السابقة من هذا البحث نشر بعضها بعددى ربيع الأول ص ٢٤٣ وربيع الثانى ص ٣٣٤ تحت عنوان مسئولية الأطباء مع أن العنوان الصحيح هو : الركن الشرعى للجريمة فى الشريعة الإسلامية وفى القوانين الوضعية .

ملاحظة (٢) وقعت بعض أخطاء مطبعية فى بحثنا « حول ميراث القاتل » المنشور بعدد رمضان الماضى ترتب على بعضها تغيير المعنى ، ومن أهمها ما وقع بالصفحة ٨٠٠ سطر ١٢ فكتب « مع بعض محارمها » والصواب على بعض محارمها . كما أنه بالسطر العشرين كتب « المجنى عليه هذه النية » والصواب « هذه النية » بحذف كلمتى المجنى عليه .

مكتبتنا العربية

في إعجاز القرآن :

مذهب الصرفة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ على محمد حسن العمارى
مبعوث الأزهر إلى السودان

كان العرب حين أنزل القرآن كأنما أُشدوا بأمراس كتان إلى صم جندل ؛ فهم يسمعون القرآن ، ويعجبون به ، ويكادون يسجدون لفصاحته ، ويوقنون - يقين العارف الخبير - أنه ليس من قول البشر ، ولكنهم يحاولون أن يحطوا من شأنه ، وأن يهوّنوا من أمره ، ويودون لو استطاعوا أن يأتوا بسورة من مثله تبهرهم روعته ، ويروعهم عجزهم عن معارضته ، والكبرياء تتسلط عليهم ، وخوف غلبة محمد صلى الله عليه وسلم عليهم تملأ نفوسهم ، وبوادر الإقرار بنبوته ، والإذعان لرسالته ، تبدو قريبة من نفوسهم كل القرب ، فيحاولون أن يجعلوها بعيدة كل البعد .

والعاجز المكابر ، والمأخوذ المعاند ، لا يسلك إلا ما سلكه هؤلاء الجاحدون ، وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون . فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ، . وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ، وهكذا أخذوا يتنقصون القرآن بهذه الكلمات الفضفاضة ، فمرة هو سحر ، وأخرى هو شعر ، وثالثة هو أساطير الأولين : ثم كانت هذه الدعوى العريضة التى لا يصدقها العقل ، ولا تسعفها القوة ، وهى دعوى العاجز دائما : ، لو نشاء لقلنا مثل هذا ، ولم لا تشاءون ؟ ! إنهم كانوا كالقمىء الهزيل أمام العملاق المفتول العضلات ، القوى البنية ، يدعوه هذا إلى النزال ، فيجيب ذاك ، بصوت

مكتبتنا العربية

يملأ فمه ، ويخرق الأسماع ، ولا شيء غير الصوت . فهم - فى الحق - كانوا مذعنين فى قرارة أنفسهم بأنهم عاجزون ، ومدركين هذا الإعجاز فى أذواقهم ، وعلى أطراف ألسنتهم ، وربما صرح بعضهم بشيء من ذلك ، فلا يعدو الكلام الواسع الفضفاض أيضا . يقول الوليد بن المغيرة لقومه ، وكانوا بعثوه ليسمع القرآن ، ويقول فيه قالة سوء ، غير أنه انساق مع فطرته ، ونسى كفره لحظة ، وقال : « والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى : لا برجزه ولا بقصيده ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا ، ووالله إن لقوله الذى يقول لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه ، وإنه ليحطم ماتحته » ! .

ومضى القرن الأول ، وتبعه القرن الثانى ، والعلماء يمسون نواحى الإعجاز مسّاً خفيفاً ، فلما كان القرن الثالث ، واتسعت دوائر البحوث العلمية ، وكثرت الخلافات المذهبية ، وتعددت النحل ، وتفرقت الأهواء والسبل ، احتدمت المعارك ، وقويت الخصومة ، وعنف الجدل ، حول الآراء الكلامية ، وكان إعجاز القرآن أحد الميادين الكثيرة التى تبارت فيها الفحول ، وتصاولت فى رحابها الوسيعة القروم ، ونازل عقل عقلا ، وناضل لسان لسانا ، وظفرت العربية بتراث صالح من القول فى القرآن ، وبطائفة من الكتب فى الإعجاز .

وليس يعنينى فى هذا الحديث أن أسرد الوجوه التى قال بها العلماء فى الإعجاز ، وإنما يعنينى أن أرسم صورة مقربة لوجه واحد منها ، كان له أثر كبير فى نشأة علوم البلاغة ، وفى تأليف كتبها .

ومنذ بدأت أقرأ فى كتب الكلام وأنا أحمل البغض والحقد لهذا المذهب والقائلين به ، وكنت أعجب أشد العجب أن يقول عالم من علماء المسلمين هذه القالة فى القرآن الكريم ، وكنت أحسب أن هذه الزلة زلة إبراهيم النظام وحده ، ولكن كان عجبى يزداد : رأيت عالماً آخر يتابع النظّام فى رأيه ومذهبه ، وعرفت أن الجاحظ والشريف المرتضى من الشيعة ، والقاضى أبا إسحق الإسفرائينى من الأشاعرة ، والإمام محمد بن حزم الظاهرى ، عرفت أن هؤلاء على رأى النظام ،

مكتبتنا العربية

ورأيت هذا العالم الأخير يقول فى كتابه (الفصل فى الملل والنحل) حين يحكى هذا المذهب : « وقالت طوائف » فالقائلون به — إذن — طوائف ، لا طائفه واحدة ، ولا فرد واحد . وكنت فى بادىء الأمر أظن أن أحداً من الأشاعرة لا يقول بهذا المذهب ، وإنما هو رأى اعتزالى ، حتى رأيت فى كتاب الشهرستانى (الملل والنحل) هذا النص « والقرآن عنده — يريد الأشعرى — معجز من حيث البلاغة والنظم والفصاحة ، إذ خيّر العرب بين السيف وبين المعارضة فاختاروا أشد القسمين اختيار عجز عن المقابلة ، ومن أصحابه من اعتقد أن الإعجاز فى القرآن من جهة صرف الدواعى ، وهو المنع من المعتاد ، ومن جهة الإخبار عن الغيب » . ورحت أبحث عن هذا الأشعرى فرأيت فى المواقف لعضد الدين الايجى ، وهو يحكى الأقوال فى الإعجاز « وقيل بالصرفة ، فقال الأستاذ والنظام : صرفهم الله مع قدرتهم ، وقال المرتضى : بل سلبهم العلوم التى يحتاج إليها فى المعارضة » ويفسر السيد الشريف الجرجانى كلمة الأستاذ بأنه أبو إسحق الإسفرائينى .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

عرفت أن هؤلاء العلماء الأعلام ، وهم لا يحتاجون إلى تعريف ، يقولون بهذا القول ، ثم رأيت المرحوم مصطفى صادق الرافعى يقول فى كتابه (إعجاز القرآن) عن هذا المذهب : « وهو عندنا رأى لو قال به صبية المكاتب ، وكانوا هم الذين افتتحوه وابتدعوه لكان ذلك مذهبا من تخاليطهم فى بعض ما يحاولونه إذا عمدوا إلى القول فيما لا يعرفون ليوهموا أنهم قد عرفوا » . « وعلى الجملة فإن القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب فيه « إن هو إلا سحر يؤثر » . وهذا زعم رده الله على أهله وأكذبهم فيه ، وجعل القول به ضربا من العمى : « أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون » . فاعتبر ذلك بعضه ببعض فهو كالشىء الواحد » .

أقول : قرأت هذا فذكرت ما كنت لقنته من بعض شيوخى فى عهد الطلب ، من أن القائلين بهذا المذهب كفار ، لأنهم يجعلون القرآن فى مستوى كلام البشر ، ولكنى ذكرت أولئك العلماء القائلين به ، فوجدت المسألة لا تخلو من غرابة .

مكتبتنا العربية

لذلك رأيت أن أتعرف كيف نشأ هذا المذهب ، وما حقيقته ، وكيف دافع عنه أصحابه ، وكيف فهمه العلماء ، وكيف ردوا عليه وناقشوه ؟ وقد خرجت من هذا البحث مقتنعاً بأن هذا المذهب عليه غبار كثيف ، وأن من الإنصاف أن نعرضه مفصلا ، لا لندافع عنه ، ولا لنقول إنه المذهب الحق ، ولكن لنرفع شيئاً من الظلم عن القائلين به . ولا بادر القارىء فأقول : إنى لا أعتنق هذا مذهباً فى الإعجاز ، ولا أقول إنه الصواب ، وما عداه من المذاهب خطأ ، ولكنى أقول : إنه سيرى من هذا البحث أن النظام والجاحظ والإسفرائينى والمرتضى وابن حزم كانوا بعيدين عن الكفر كل البعد ، وكانوا بعيدين عن السفه ، وإنما اعتقدوا هذا المذهب تديناً ، ومبالغة منهم فى الابتعاد بالقرآن عن أن يطمع طامع فى معارضته .

كان لهذا المذهب أثره فى نشأة البلاغة العربية ، فمذ ظهر القول به والعلماء ينظرون فى القرآن باحثين ومدققين ، يريدون أن يبينوا أسرار إعجازه ، وأن يضعوا أمام الناس دلائل إعجازه ، فكان من ذلك مؤلفات فى الإعجاز لها مكانتها ، وكان من ذلك أقوال مبسوطة فى كتب الكلام وكتب التفسير ، وهى ثروة وفيرة ، على أن أصحاب هذا المذهب لم يبق لهم فى الكتب إلا القول به ، أما أدلتهم ، وأما وجهة نظرهم فقلما تعثر على شىء من ذلك . مرّ الجاحظ عليه فى موضع واحد من كتابه الحيوان ، وذكره ابن حزم ، ولعله الوحيد الذى أطال فيه ، أما خصومهم فلا يخلو كتاب من كتبهم من مناقشة المذهب والرد عليه ، وإنك لتعجب بعد كل هذا من قول الرافعى : « على أن القول بالصرفة هو المذهب الفاشى من لدن قال به النظام ، يصوّبه فيه قوم ، ويشايعه عليه آخرون ، ولولا احتجاج هذا البليغ لصحته ، وقيامه عليه وتقلده أمره ، لكان لنا اليوم كتب ممتعة فى بلاغة القرآن وأسلوبه وإعجازه اللغوى ، وما الى ذلك » .

وسنعرض - إن شاء الله - فى مقالاتنا الآتية إلى كل ما أومأنا إليه آنفاً ، والله الموفق للصواب .

مكتبتنا العربية

الامام البخارى

منزلة السنة من الدين

كيف دونت السنة — نشأة البخارى وسيرته

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود النواوى
وكيل معهد فؤاد الأول بأسيوط

جدير بالمسلمين أن يذكروا لذلك الإمام الكبير فضله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم : فهو كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس . لقد حفظ الله به على الأمة السنة الثابتة الصحيحة ؛ والسنةُ المحمدية هى الهداية العظمى ، والحكمة البالغة ، والدين الخالص ، والعلم النافع . وقد اعتبرها الأئمة الأعلام المرجع والإمام الذى لا يقبل غيره ، ونوه بها الإمام الشافعى فى قوله :

كل العلوم سوى القرآن معولة ... إلا الحديث وعلم الفقه فى الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا ... وما سوى ذاك وسواس الشياطين

فلم يكن أحد من الأئمة يستطيع أن يتعدى حدودها فى مسألة من الدين حتى يعدم فيها توجيها . وقد حفظ عن كل إمام من الأربعة أنه كان يقول : إذا صح الحديث فهو مذهبى .

فمنزلتها من الإسلام منزلة الروح من الجسد ؛ لا إسلام لمن لم يعرفها ، ولا دين لمن تنكب عنها . لقد تكفلت ببيان مجمل الكتاب ، وتقييد مطلق منه ، وإحكام متشابه فيه .

وهى التى علمتنا مواقيت الصلوات ، وأعداد الركعات ؛ وكذلك كانت فى كثير من الشعائر .

مكتبتنا العربية

يقول الله سبحانه « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » . ولكن ما السرقة التى توجب القطع ؟ وكيف يكون ذلك القطع ؟

ويقول سبحانه « كتب عليكم الصيام » الخ الآيات ، ولكن ماذا يفعل من زل بالفطر ؟ وهل له كفارة ؟ وما تلك الكفارة ؟

ذلك وأمثاله بيّن واضح فى السنة الكريمة ؛ فهى بيان الكتاب وتفسيره . والوحى قسمان : معجز متلو وهو القرآن ، وغير معجز وهو السنة .

وفى صحيح البخارى قال عمر «لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل : لانجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ؛ ألا وإن الرجم على من زنا وقد أحصن إذا قامت البينة » . وفى مسند أحمد « يوشك أحدكم أن يكذبنى وهو متكئ على أريكته يحدّث بحديثى فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله . ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله » .

لاجرم أن تنافس رجال الدين فى حفظها والذود عنها ، حتى يبنى عليها الدين الخالص ، وحتى يكون بمأمن من وعيد الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتواتر « من كذب متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

هذا وقد اعتمد الصحابة رضى الله عنهم فى نقل السنة على الحفظ والضبط لجودتهما إذ ذاك ، ولا سيما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينهاهم أن يكتبوا عنه غير القرآن خوف الالتباس بالقرآن على مر الزمن .

ولما اتسع الإسلام ، وتفرق الصحابة وأتباعهم ، ومات الكثير منهم فى الفتوحات ، وقل الضبط ، وكاد الباطل يتلبس بالحق فى عدة عوامل مختلفة ـ احتيج الى تدوين الحديث ، وابتدأ التصنيف ، فكان عمر بن عبد العزيز الإمام العادل أول من أمر بتدوينه .

وفى مقدمة الفتح لابن حجر : إن أول من جمع فى ذلك الربيع بن صبيح وسعد بن أبى عروبة وغيرهما ، يصنفون فى كل باب على حدة ، فلما انتهى الأمر الى كبار الطبقة الثالثة ، صنف مالك الموطأ بالمدينة ، وألف ابن جريج بمكة ،

مكتبتنا العربية

والأوزاعى بالشام . . ثم تلاهم كثير من الأئمة كل بحسب ما سنح له ، فمنهم من رتب على المسانيد كأحمد وابن راهويه ، ومنهم من رتب على العلل ، ومنهم من رتب على الأبواب الفقهية ، وهؤلاء منهم من تقيد بالصحيح كالشيخين البخارى ومسلم ، ومنهم من لم يتقيد كباقى أصحاب السنن . فالبخارى أول من صنف فى الصحيح على أبواب الفقه ، وكان معروفا بالفقه فى الدين وقوة الاستنتاج ، كما تشهد بذلك عناوينه الدقيقة فى كتابه الجامع الصحيح .

نشأ البخارى وقد تمهد سبيل الرواية ، فدقق فى بعض الاشتراط بما لم يكن لغيره ؛ ولذلك كان جامعه هذا أصح الكتب بعد كتاب الله ، وتلقته الأمة بالقبول ، حتى وصف بأنه متواتر معنى .

ونشأ البخارى فى عهد قامت فيه الحركة العلمية على ساقها ، ونفقت سوقها ، وتنافس الرجال على التجارة فيها على اختلاف نزعاتهم وتنوع أصنافها ، فشهد حينا من أخريات عهد المأمون الذهبى صبيا ، إذ كانت ولادته يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة ١٩٤ ، ولا بد أن الوسط ظل متأثرا بتلك الروح العظيمة المأمونية حينا من الدهر فى عهد المعتصم الذى بدأ البخارى يطلب فيه العلم ، وقد تغلغل فى نفسه حب العلم الدينى بالوراثة عن أبيه الصالح التقى اسماعيل بن ابراهيم ، الذى روى عن حماد ومالك ، وصحب ابن المبارك ، والذى روى عنه العراقيون ، وكانت له سمعة طيبة كريمة فى الورع والزهادة ، وكان البخارى من آيات الله فى ذكائه ، وحفظه وتحريه وشدة حرصه ، وتقلله من الدنيا ومن الإصابة منها والتنافس على جمعها ، يحسدوه توفيق وتيسير عجيب ، فضلا من الله الذى رد عليه بصره ليحفظ به سُنة نبيه .

حدث البغدادى الخطيب بسنده الى السجاد قال : سمعت شيخى يقول : ذهبت عينا محمد بن اسماعيل فى صغره ، فرأت والدته فى المنام ابراهيم الخليل عليه السلام يقول : يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك أو لكثرة دعائك . . . فأصبح وقد رد الله بصره !

وأظن أن فى الطب الآن متسعا لمثل هذا الذى كان يعد من الخرافات . على أن فى قدرة الله مالا يعلم الناس ولا يحتسبون .

مكتبتنا العربية

وقد حدث البخارى عن نفسه ببعض قصة حياته ، وقد سأله محمد بن أبى حاتم : كيف كان بدء أمرك ؟ قال : ألهمت حفظ الحديث وأنا فى المكتب ، قال : وكم أتى عليك إذ ذاك ؟ قال عشر سنين أو أقل ، ثم خرجت من المكتب بعد العشر فجعلت أختلف الى الداخلى وغيره ، وقد جرى بينى وبين الداخلى أنه قال يوما فيما كان يقرأ للناس : سفيان عن أبى الزبير عن ابراهيم ، فقلت يا أبا فلان إن أبا الزبير لم يرو عن ابراهيم ، فانتهرنى ، فقلت : ارجع الى الأصل إن كان عندك ، فدخل فنظر فيه ثم خرج وقال لى : كيف هو يا غلام ؟ فقلت هو الزبير عن عدى ابن ابراهيم ، فأخذ القلم منى فأحكم كتابه . فقال له بعض أصحابه : ابن كم كنت؟ قال ابن إحدى عشرة سنة ، فلما طعنت فى ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء ، ثم خرجت أمى بى وبأخى أحمد الى مكة ، فلما حججت رجع أخى بها وتخلفت فى طلب الحديث ، فلما طعنت فى ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم ، وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فى الليالى المقمرة ، وقال : قلّ اسم فى التاريخ إلا وله عندى قصة إلا أنى كرهت التطويل .

ويظهر أن هذا الكتاب كان من آيات غزارة علم الرجل وسعة اطلاعه إلى حد جعل الناس تفتتن به حتى فى وضعه وجعل البخارى يعجب به ، فهو يقول : لو نشر بعض أستاذى هؤلاء لم يفهموا كيف صنف كتاب التاريخ ولا عرفوه : صنفته ثلاث مرات .

وقد حدث البخارى أن شيخه ابن راهويه دخل بالكتاب على عبد الله بن طاهر ، فقال : أيها الأمير ألا أريك سحرا ؟ فنظر فيه عبد الله بن طاهر فتعجب منه وقال : لا أفهم تصنيفه ! . وقال العباس بن سعيد : لو أن رجلا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن تاريخ البخارى .

وأما جمعه لهذا الجامع الصحيح فيرجع إلى ماحدث به عن نفسه ، قال : كنت عند إسحاق بن راهويه فقال لنا بعض أصحابنا : لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبى صلى الله عليه وسلم ! . فوقع ذلك فى قلبى ، فأخذت أجمع هذا الكتاب وجمعته من ستمائة ألف . ولله هذا الإمام الحافظ الخطير ! ما كان أصفى نفسه وأقدره على

مكتبتنا العربية

الجمع والحفظ والفقه، ونخل النصيحة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم! وحدث البخارى وهو الثقة الثبت أنه ما أدخل فى كتابه إلا ماصح، وترك من الصحاح خوف الإطالة، وأنه ما وضع فى هذا الصحيح حديثا إلا اغتسل قبل ذلك وصلى ركعتين ... والحديث عن هذا الجامع يطول.

وكذلك الحديث عما كان من امتحانات البخارى وتجمهر كثير من البلاد لتحديه فى الحفظ والضبط: فذلك أمر قد يدخل فيما يقرب من الإعجاز. ومن شاء علم ذلك فليرجع إلى مقدمة الفتح وإلى تاريخ بغداد وغيرهما. وهنا نشير إلى أن للبخارى عدا الكتابين العظيمين كتبا أخرى، كالأدب المفرد، وبر الوالدين، وخلق الأفعال، والضعفاء، والمسند الكبير، والتفسير الكبير، وكتاب الفوائد.

ثم نعود بك الى بعض صفاته العظيمة التى فتحت له ذلك الفتح المبين، وجعلته فى ذلك الوضع النادر.

فقد قالوا: إنه كان غاية فى السخاء وبذل الدنيا، وكان آية فى عفة اللسان ونزاهة القول، حتى إنه قال يوما: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبنى أنى اغتبت أحدا. فقال له بعض الشهود: إنك جرحت بعض الرواة، فقال: ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا وقد قال صلى الله عليه وسلم: بئس أخو العشير.

على أنه قد كان من دأبه أن يقول فى الساقط والمتروك: فيه نظر أو سكتوا عنه. وكان البخارى صبورا غفورا، حتى إن الجارية أراقت حبره يوما فلما سألها قالت: إنه فى طريق! فقال: أنت حرة لوجه الله!.

فأما أحاديث النسك والعبادة والاستهتار فى ذكر الله وتلاوة القرآن، فقد كان فى ذلك كله المثل الأعلى للمؤمن الناسك القانت الخاشع: صلى الظهر يوما فى بستان مع جماعة من أصحابه ثم قام الى التطوع فأطال القيام، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه فاذا زنبور قد أثر فى ستة عشر موضعا حتى تورم جسده، فلما سئل فى إطالته، قال كنت فى سورة فأحببت أن أتمها. وهنا أترك للقارىء الكريم التعليق على هذا الحادث الجسيم، وكيف أن ذلك الإمام الذكى كان يؤثر الروح

مكتبتنا العربية

ولذتها ، ويقدر الكتاب الكريم ويقدس آياته . وقد كان فى شهر رمضان يعنى بالقرآن عناية خاصة مع تشميره فى عبادة الله ، فكان يجمع أصحابه منذ أول ليلة منه فيصلى بهم ويقرأ فى كل ركعة عشرين آية ، وكذلك الى أن يختم القرآن . وكان يقرأ فى السحر ما بين نصف القرآن وثلثه ، فيختم عند السحر فى كل ثلاث ليال ، وكان يختم فى كل يوم ختمة عند الإفطار ويقول : عند كل ختم دعوة مستجابة . على أن البخارى كان يتعهد العمل فى ليله مع ذلك القنوت والتهجد اللذين علمت من خبرهما ، وقد حفظ عنه ذلك وعرفه أصحابه فى السفر .

قال أبو الوراق : كان أبو عبد الله (البخارى) إذا كنت معه فى سفر يجمعنا فى بيت واحد أحيانا فيقوم فى ليلة خمس عشرة مرة الى عشرين ، فى كل ذلك يأخذ القداحة ثم يورى ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها . وكان يصلى فى السفر ثلاث عشرة ركعـة .

فهذا شأن من شغله التفكير فى العلم وتصحيح النقل والأمانة فى الرواية عن نوم الغافلين الكسالى ، فهذا نوم الإغفاء والتفكير لا نوم الإغماء والشخير . وكذلك النفوس الكبيرة :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

ونقل ما يشبه ذلك تلميذه الفربرى ، ولم يكن ذلك فى السفر ، قال : كنت عند محمد بن اسماعيل بمنزله ذات ليلة ، فأحصيت أنه قام وأسرج يستذكر أشياء ثمانى عشرة مرة . فليس كثيرا على مثله أن يصنف هذا الجامع الصحيح فى ست عشرة سنة ، لأنه المتحرى المحتاط الذى استطاع أن يخرج من ستمائة ألف حديث هـذا الجوهر الثمين والكنز العظيم الذى جعله حجة بين الله وبين عباده . نفع الله الأمة بإخلاصه وبجامعه الصحيح .

فأما الخوض فى طريقة تصنيفه ، ودقة استنتاجه ، وقوة نظره ، وعلو كعبه ، وبُعد مراميه فى فهم السنة والتفريع منها ، فلذلك مجال غير هذا ، وإنما قصدت توجيه الأنظار الى ذلك الذخر العظيم ، وتلك النفحات الربانية الكريمة . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ؟

مكتبتنا العربية

حرية الرأى

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ إبراهيم على أبو الخشب
المدرس بكلية الشريعة

أما أن الحرية هى الحياة ، أو هى أقصى ما يتشهّى الأحياء أن ينالوه ، فذلك مما لا شك فيه . ولهذا نجد الأفراد والجماعات يبذلون ما يملكون ، وينفقون أثمن ما يقتنون ، للحصول على هذه الغاية ، والوصول إلى تلك الثمرة ، فإن انتهوا إليها حمدوا السُّرَى ، وشكروا للمقادير ما أتاحت ، وللقضاء ما وهب . وإن رجعوا من المسعى بالخيبة ، ومن الدأب بالإخفاق ، سخطوا على الزمان والمكان ، وبرِمُوا بالكون وما فيه من باغم وناغم ، وصادح ونائح ، وصار الفضاء على سعته فى نظرهم أضيق من حبالة الصياد ، وأظلم من حلك الغراب ، واعتبروا أن العيش الذى يعيشونه على هذا النمط خير منه قاع جهنم ، حيث النار ذات اللهب ، والحجارة والحطب ، والدخان الذى يكبت الأنفاس ، ويؤلم الإحساس . . .

وربما كانت عبودية الأجسام على خطر شأنها ، وعظم قدرها ، وإن كانت سجنا مرذولا ، وحداً من النشاط ممقوتا ، ليست شيئا مذكورا إلى جانب عبودية الرأى والحظر عليه ، وإقامة الأسوار والأشواك فى وجه صاحبه .

والرجل ذو الهمة الأبية ، والنفس العالية ، والطموح البعيد ، قد يقبل أن يطوَّح به فى المنفى ، وأن يُزَجّ به فى الدرك الأسفل من الكهوف والمغارات ، وأن يرمى به فى المفازات والأدغال مع الوحوش والهوام ، ثم لا يقبل أن يحال بينه وبين الرأى الصريح ، والمنزع الصحيح ، والعقيدة التى يذعن لها قلبه ، ويطمئن إليها وجدانه ، ولو أكره على خلاف ما يرى ، أو حمل على ما يتنافى مع هواجس نفسه ، وهواتف حسه ، لم يسعه إلا أن يدعو بدعوة يوسف عليه السلام ، حينما اضطربت به المسالك ، وضاقت عليه المآزق : « ربِّ السجنُ أحب إلىّ مما يدعوننى إليه » .

مكتبتنا العربية

ولا يكون الحجر على الآراء ، والحيلولة دون الأفكار ، ومحاربة العقول ، وإطفاء مصابيح النظر الصحيح ، إلا حين تكون طفولة الأمم ، وتخبطها فى ظلمات الجهالة ، وغيابات الحيرة والعمى ، ولا يمكن أن يكون حينئذ نهوض ولا رقى ، ويقظة أو تقدم ، وإنتاج نافع ، أو إصلاح مرموق ، وإنما يكون الفناء والهدم ، والتدمير والتأخر ...

ولذا رأينا الإسلام يشيد بهذه « الحرية » ويقدسها ، ويعلى من قدرها الى درجة ليس بعدها ؛ وينعى على من يهمل بصره ، ويُعَطِّل حواسه ، ولا يستفيد من تلك المواهب التى خلقها الله له ، ليستخدمها وينتفع بها ، ويرى فيمن ينهجون ذلك النهج ، ويعيشون بهذا الأسلوب ، أنهم كالأنعام بل هم أضل .. ولم تقم دعوته على العنف ، أو تستعن بالقوة ، أو تلتجىء الى السيف والإرهاب ، وإنما تركت للناس حرية النظر والتفكير ، والتروى المشوب بالبحث والمقارنة ، والترجيح والتفضيل ، لتتركز العقيدة ، ويكون الدين خاليا من اللجاجة والشك ، والاضطراب والتردد ، وهو لهذا يذكر الحكم مقترنا بعلته ، والقضية مصحوبة بدليلها ؛ والشواهد لذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى أو تستقصى ...

وليس أصرح فى حرية الاختيار ، وأبلغ فى اعتبار إذعان القلب ، وميل الوجدان ، من تلك الصورة الرائعة التى تمثلها الآية « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » فإنها تضرب الرقم القياسى — كما يقولون — للديموقراطية الفكرية فى أجلى مظاهرها ، وأحسن صورها ... ولو أن دولة من الدول ، أو جماعة من الجماعات ، وضعت يدها على من يحاربها فى رأى ، أو يناقضها فى عقيدة ، أو يخالفها فى مبدأ ، وكان منها إليه ذلك الصنيع ، دون أن تجعل الظفر به مدعاة الامتنان ، أو وسيلة النيل منه ، لقام لها التاريخ وقعد ، وطاولت بعنقها السماء كبرا وخيلاء ...

وحسب المتحدث عن « حرية الرأى » فى الإسلام ما يقرؤه فى الكتاب الكريم من الآيات الداعية الى النظر ... وأن من منابع التشريع فيه الاجتهاد حتى حين كان ينزل الوحى ، وأن اختلاف الصحابة كان مع وجود النبى

مكتبتنا العربية

صلى الله عليه وسلم ، وأن عمر كان إذا لم يطمئن الى الحكم راجع فيه الرسول ، وأبى أن يتلقنه من أول الأمر ، إلا أن ينقدح فى نفسه ، أو يتجلى لعينه . . . وأظن أن تباين القضايا عند الأئمة وتضارب الفهوم فى المسائل ، برهان لاشك فيه ، ودليل لا شبهة معه ، على أن الرأى مقدس ، والنظر معتبر . . .

ومن المسلم به أن الإنسان إذا عبد الله سبحانه وتعالى بما رجح دليله لديه كان من الناجين من عذابه ، البعيدين عن سخطه ، ولو كان ذلك الذى رجح لديه خطأ فى الواقع . . .

إلا أن حرية الرأى هذه لا يقبلها الدين ، قضية مسلمة ، بل يراها أقرب الأشياء شبها بما يسمونه السلاح ذا الحدين ، فالحرية للمسلمين مكفولة ، والرأى له قداسته واحترامه ، ما دام ذلك كله لا يصل بصاحب النظر الى نقيض ما أجمعوا عليه فى أصل من الأصول ، أو ما دام غير متعارض مع نص ظاهر الدلالة . . . ولذلك كان المأثور عن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أنهما إذا اشتبه عليهما أمر الكتاب والسنة ، وخفى عليهما أخذ الحكم منهما ، لم يريا الرأى من تلقاء أنفسهما ، ولكن يجمع أحدهما أهل الذكر ، فإن أجمعوا على حكم أخذ به ، وحمل الناس عليه ، وفى ذلك بُعد عن الهوى ، ومجانبة لمظنة التحيف ، خصوصا إذا كانت الفتنة ، أو شاعت الضلالة ، أو شك المعاصرون فى نزاهة المفتى ، وبراءته من الغرض . . .

ولأن علم المنطق من العلوم التى تنمّى ملكة الرأى ، وتشجع على حرية النظر ، كان بعض العلماء لا يقول بجواز الاشتغال به ، ولا سيما إذا لم يكن عند المرء حصانة من الدين ، ومناعة من العقيدة الصحيحة . وقد رأينا صواب ذلك الرأى حينما شاهدنا أولئك الذين لم يأخذوا بقسط من الهداية السليمة يتخبطون فى النظر ، ويزيغون فى الفكر ، ويسيرون كما تسير العشواء ، وجعلوا من معارفهم التى درسوها معاول يهدمون بها ما أجمع المسلمون عليه . وهم وإن كانوا ، كناطح صخرة يوما ليوهنها ، إلا أنهم يسمّمون عقول الناشئين ، ويصيبون أحلام المبتدئين . . . والشباب فى جيلنا الذى نعيش فيه يغره البريق ، ويخدعه البهرج ، وتسبيه مظاهر الأشياء ، لذلك

مكتبتنا العربية

يحب من الكلمات ما كان فيه « تجديد » أو دعوة الى حرية ، أو اشتمال على مذهب مستحدث ، أو رأى غريب . . . وعذرهم فى ذلك كله واحد من أمرين : قلة محصولهم العلمى ، وكثرة الدوى الذى يطن فى آذانهم من الصحافة المستهترة ، والكتاب المائعين ، وساعد على هذا وهذا تحلل عام ، وتفكك شامل ، وانحدار خلق طاح بالأخضر واليابس ، الى حد أن صارت كلمة الجمود أو التأخر أقرب ما ينال المنصف من الداعين ، والمعتدل من الهداة المرشدين « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة » . . .

وإذا كان من أدب القرآن الذى أدب به أهله إذا اشتبهت عليهم معالم الطريق أن يسترشدوا بمن يعرف مسالكه ، ويدرى مهالكه ، وأن يشاوروا من يتبصر الأمور ، حين لاتتبين الأمور . . . فإن من أدب أولئك الأغرار قولة ابن أبى ربيعة « إنما العاجز من لا يستبد » عصمنا الله من اللجاجة ، وحفظنا من الهوى ، وجعلنا من الداعين إليه ، الذائدين عن دينه ، المتمسكين بيقينه ؟

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مخاطرات

قام رجل إلى عمرو بن العاص والى مصر وهو يخطب يوم الجمعة ، وقال له : يأيها الأمير من أمك ؟ فأجابه عمرو قائلا : هى النابغة بنت عبد الله أصابتها رماح العرب ، فبيعت بعكاظ ، فاشتراها عبد الله بن جدعان للعاص بن وائل ، فولدت فأنجبت ! فان كانوا جعلوا لك شيئاً فخذه ! .

وقام رجل إلى هرون الرشيد وهو يخطب بمكة فقال : كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ، فأمر به فضرب مائة صوت : فبات هذا الرجل يئن الليل كله من ألم الضرب وهو يقول : الموت الموت ! . فأخبر بذلك أمير المؤمنين هرون وقيل له إنه رجل صالح . فأرسل اليه يعتذر اليه ويستحله ، فأحله .

مكتبتنا العربية

من طرائف القرآن الكريم

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الغنى عوض الراجحى
مبعوث الأزهر الى كلية المقاصد الإسلامية بصيدا — لبنان

الألفاظ أوعية المعانى ، ولكل معنى لفظ يدل عليه ويعبر عن طريقه الى الذهن . والألفاظ بما تحمل من المعانى ثروة بين الجميع على سواء ، لا يعنّ لمتكلم معنى من المعانى يريد التعبير عنه إلا وفى ألفاظ اللغة ما يسعفه . وقد كان ذلك مدعاة أن لا يفضل كلام كلاما أن لو كان الأمر فى الألفاظ المجتمعة كمثله فى الألفاظ المفردة ؛ لكن لما كان اجتماع الألفاظ مجالا لخصائص وزيادات تحدث فى أصول المعانى ، كان تفاضل الكلام بحسب تفاوته فى اشتماله على هذه الخصائص والزيادات ، فلا يزال الكلام يترقى بها الى أن يبلغ حد الإعجاز أو ما يقرب منه ، ولا يزال يسفل بفقدها الى أن يلتحق بأصوات العجماوات عند البلغاء ، وإن كان صحيح الإعراب عند النحاة .

لم يقتصر القرآن فى حلاوته وطلاوته وبلوغه درجة الإعجاز على أدائه المعانى مشتملة على أعلى هذه الوجوه والخصائص التى بها يطابق الكلام مقتضى الحال ؛ بل إنه أتى فى هذا الباب بشىء عجيب طريف لا يتأتى فى غيره إلا متابعة له أو اقتباساً منه : تمكين المعنى بوضع الجملة وحسّن الكلمة وهيئة التراكيب وأجراسها الصوتية ، وفواصل الآيات ومقاطعها ، حتى ليتناسب التعبير مع المعبر عنه ، وتساعد الجمل والكلمات بوضعها وكيفياتها على تصوير المعانى وتجسيمها .

انظر مثلا الى قوله تعالى فى سورة الرحمن « أن لا تطغوا فى الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ، ولا تخسروا الميزان » الطغيان فى الميزان : الزيادة فيه ، والإخسار له :

مكتبتنا العربية

النقص منه ؛ وبين الزيادة والنقص طريقة وسطى هى إقامته بالقسط . الجملة الأولى نهى عن الطغيان ، والجملة الثالثة نهى عن الإخسار ، والجملة الوسطى أمر بالقسط ، وفى مجيئها وسطى فى الوضع مع أمرها بالطريقة الوسطى موافقة الوضع للمعنى ، ومحاذاة فى صورة التعبير لصورة المعبر عنه .

وقريب منه ما فى سورة هود من قول شعيب لقومه « ولا تنقصوا المكيال والميزان ، إنى أراكم بخير ، وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط . ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم » حيث وقعت جملة الأمر بالقسط والمكيال والميزان وسطى بين جملتى النهى عن النقص .

وانظر مثلا آخر قول الله سبحانه فى سورة الشورى « يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ، ويجعل من يشاء عقيما » كيف جاء لفظ الإناث والذكور على التنكير فى سائر الألفاظ إلا فى موضع واحد وقع فيه تعريف الذكور بأل . قد يقال إنها الفاصلة . نعم ووراء الفاصلة سر آخر : حجر الأساس ، وجيب الزاوية فى هذا الوجود ، هم الذكور : الرسالات ، الملك ، العلم ، قيادة القافلة الإنسانية ؛ يدور الأمر فى ذلك كله على كاهل الذكور . خلق الله آدم قبل حواء ، الرجال قوامون على النساء ، للذكر فى الميراث مثل حظ الأنثيين . لا بدع بعد ذلك أن يكون الذكور أعرف من الإناث ، وأن يكون تعريف هذا اللفظ خاصة للإشارة الى ما ذكر من متعلقات مدلوله .

وانظر مثلا آخر قول الله تعالى فى سورة الأنعام الآية ٩٩ « والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه » مع قوله تعالى فى السورة نفسها الآية ١٤١ : « والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه » فى هاتين الآيتين دلالة على أن الزيتون والرمان متشابه وغير متشابه ؛ متشابه فى اللون والحجم ، غير متشابه فى المذاق والطعم ، أو ما شئت قل فى مناط التشابه وعدمه ؛ فالتركيبان فى الآيتين لمعنى واحد ، وألفاظهما واحدة ، إلا ما كان فى الآية الأولى من الاشتباه بدل التشابه ؛ والاشتباه غير التشابه فى اللفظ ونظام الحروف ، لكنه عينه فى الأصل والمعنى ، بدليل المقابلة بينهما ، وهذه المغايرة اللفظية أوجدت شبها بين اللفظين

مكتبتنا العربية

فى تركيب واحد ، وشبها بين التركيبين فى الآيتين لمعنى واحد ، فكانت الكلمات الدالة على تشابه الزيتون والرمان نفسها متشابهة ، فكان ذلك من تصوير التعبير بصورة المعبر عنه ، ومحاذاة الصورة اللفظية للصورة المعنوية حذوك الشيء بالشيء .

وانظر مثلا آخر الى الكلمات الاربع « اثاقلتم » فى قوله تعالى فى سورة التوبة « يأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض » ، « أنلزمكموها » فى قوله تعالى فى سورة هود « يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون » ، « يصطرخون » فى قوله تعالى فى سورة فاطر فى أهل جهنم « وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل » ، « مصيطر » فى قوله تعالى فى سورة الغاشية « فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمصيطر » .

كيف أن اللفظة الأولى بما فيها من إدغام وإبدال واجتلاب همز الوصل للنطق بالساكن وثقلها فى النطق بعد ذلك كله — كانت خير تصوير لهذا الثقل المراد تصويره : ثقل البطيء الذى لا يخف لما يؤمر به ، هذا التصوير الذى لم يكن ليكون أن لو كان التعبير بقوله : تثاقلتم ؟

وكيف أن الثانية بكثرة حركة الضمة فيها — وهى أثقل الحركات — وتكرر بعض حروفها ، كانت خير تصوير لما يكون من الثقل على الملزم بشيء هو له كاره لا تستجيب له نفسه ولا تخف : هذا التصوير الذى لم يكن ليكون أن لو كان التعبير بقوله : أنلزمكم إياها (١) ؟ .

وكيف أن الثالثة بغلظ جرسها وقوة منطقها وحروفها ، تصور قوة الصراخ المنبعث من جوف جهنم وأهلها هولا وفزعا : هذا التصوير الذى لم يكن ليكون أن لو كان التعبير بقوله : يصرخون ؟ .

وكيف أن الرابعة تصور بقوة جرسها وحروفها ، هيمنة المسيطر على المسيطر عليه : هذا التصوير الذى أعان عليه إبدال السين صاداً ، والصاد أقوى من السين .

وانظر مثلا قوله تعالى فى سورة النجم « ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك إذن

---

(١) الفصل والوصل فى هذا الضمير جائزان على سواء - ابن عقيل .

مكتبتنا العربية

قسمة ضيزى ، فإن الكلمة الأخيرة فى أصلها غريبة ثقيلة على اللسان ، لكن مجيئها هذا المجيء جعلها من الروعة والرونق فى الذروة والسنام ، حيث كانت غرابتها أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التى أنكرت ، وكانت الجملة كلها كأنها تصور فى هيئة النطق بها الإنكار فى الأولى والتهكم فى الثانية ، وكان هذا التصوير أبلغ البلاغة وخاصة فى اللفظة الغريبة التى تمكنت فى موضعها من الفاصلة ، ووصفت حالة المتهكم فى إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المدين فيها إلى أسفل وإلى أعلى ، وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية »(١).

ومثله قوله تعالى فى سورة آل عمران « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، فإن النحاة يقولون إن « ما » زائدة أى فى الإعراب ، فيظن من لا بصر له أنها كذلك فى النظم مع أن فى هذه الزيادة لوناً من التصوير لو هو حذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته ، فإن المراد بالآية تصوير لين النبى صلى الله عليه وسلم لقومه ، وأن ذلك رحمة من الله ، فجاء هذا المد فى « ما » وضعاً لفظياً يؤكد معنى اللين ويفخمه ، وفوق ذلك فإن لهجة النطق به تشعر بانعطاف وعناية لا يبتدأ هذا المعنى بأحسن منها فى بلاغة السياق ، ثم كان الفصل بين الباء الجارة ومجرورها وهو لفظ برحمة مما يلفت النظر إلى تدبر المعنى ، وينبه الفكر على قيمة الرحمة فيه ، وذلك كله طبيعى فى بلاغة الآية كما ترى »(٢).

وانظر مثلا آخر الى القرآن كله نظرة إجمالية تتفحص فيها مدنيه تارة ومكيه أخرى ، فإنك واجد أن لكل قبيل فى أغلب أمره مسحة تغلب عليه ، وظاهرة تنتظمه : فالمدنى طويل السور ، طويل الآيات ، هادىء الأسلوب ، رقيق العبارات ، لين الفواصل والمقاطع ، وذلك أنسب شىء بما يتضمنه من الأحكام الشرعية ، والقوانين الفقهية والجدالات العلمية مع أهل الكتاب . . والمكى قصير السور ، قصير الآيات ، عنيف الأسلوب ، قوى الفواصل والمقاطع ، ألفاظه شديدة الجرس ، صاخب يدوى كأنه موج يهدر أو سيل ينحدر من قمم الجبال ، وذلك أنسب شىء بما تضمنه من النذر القارعة ، والزواجر الرادعة ، والمواعظ الجامعة التى يقتضيها

---

(١) راجع كتاب « التصوير الفنى فى القرآن » للأديب سيد قطب .

(٢) ما بين القوسين من كلام الرافعى فى كتابه إعجاز القرآن .

مكتبتنا العربية

حال أهل مكة ، أهل العناد والجحود ، وقسوة القلب وجفاء الطبع . ومن عجب أن اللفظ يكون واحدا فى معنى واحد وقصة واحدة ، لكن يرد فى سورة البقرة المدنية على جهة التخفيف ، ويرد فى سورة طه المكية على جهة التشديد ، فيقول تعالى فى السورة الأولى ـ قصة آدم : « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، ويقول فى السورة الثانية فى القصة نفسها « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » .

وانظر مثلا آخر هذه الفواصل القرآنية [١] التى تنوعت واختلف الصنيع فيها بين السورة والأخرى ، وبين آيات السورة الواحدة بعضها وبعض . أما السورة الواحدة ذات الفاصلة الواحدة فإنك تجدها وفاصلتها بمقطعها وجرسها الصوتى أنسب شىء بمعناها وأسرع خطوراً بالبال إذا ذكرت السورة أو ذكرت بعض آياتها ، حتى لتنعقد فى قرارة النفوس الحافظة عملية من التداعى والارتباط بين السورة وفواصلها ، بل بين سائر الآيات والفواصل فيها ، حتى ليكون ذلك كله من عوامل استذكار الحافظ لما يوشك أن ينساه .

هذه سورة الناس تقرؤها فتكاد تصور لك بجرسها وفاصلتها وتكرر حرف السين فيها ، هذه الوسوسة التى سيقت لها السورة : وسوسة الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس .

وهذه سورة القمر تقرؤها فتعطيك بجرسها وفواصلها والتزام حرف الراء الساكنة فيها وتكرر كلمة النذر ما تعطيك بمعانيها من تهديد أهل مكة وإنذارهم وقرع العصا لهم مرات ومرات [٢] .

وأما السورة الواحدة ذات الفواصل المتنوعة فى آياتها فغالبا ما يكون هذا التنوع عند تنوع المعانى وانتقال الكلام من غرض الى غرض ومن طريقة الى أخرى ، كأنما يرمز بتغير الفاصلة الى تغير ذلك .

---

(١) الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع . وقال الدانى : كلمة آخر الآية . وقال القاضى : الفواصل حروف متشاكلة فى المقاطع يقع بها إفهام المعانى ـ الاتقان حـ ٢ ص ٩٦ ط الحلبى .

(٢) الكوثر ، الاخلاص ، الفيل ، العصر ، الشمس ، القدر ، التين ، الفتح ، محمد ، المرسلات ، الجن ، الانسان ، كلها سور واحدة الفواصل وقريب منها غيرها كثير كالسور : الأحزاب ، الاسراء ، الكهف ، النساء ، الفرقان .

مكتبتنا العربية

هناك سور بدئت بقسم ومقسم عليه ، ولا يخفى ما بين القسمين من تنوع غالبا ما تكون الفاصلة فى القسم غيرها فى المقسم عليه لاسيما إذا كان فى القسم طول والسورة أيضا طويلة كما كان عليه الحال فى السور : الذاريات ، الطور ، الصافات ، المرسلات ، النازعات ، العاديات .

أما إذا كان فى القسم قصر أو كانت السورة قصيرة ، فغالبا ما تكون الفاصلة فى القسم والمقسم عليه واحدة كما كان عليه الحال فى السور ، النجم ، الضحى ، الشمس ، التين ، العصر ، البلد .

وهذه سورة (ص) تستمر فيها الفاصلة على وتيرة متشابهة حتى الآية ٦٧ فتتغير الى وتيرة أخرى تستمر عليها حتى ختام السورة ، وفى هذا القدر الأخير من الآيات يتمحض الحديث عن قصة آدم ، وشىء من التنبيه الى ما فى القرآن من حق وعظمة .

وهذه سورة غافر ترى الفاصلة فيها على وتيرة واحدة من الآية ٢٤ الى الآية ٥٥ وترى هذه الآيات خاصة بالحديث عن رسالة موسى الى فرعون وهامان وقارون وما أجابوه به وما آل إليه أمرهم ، وما قبل هذه الآيات وما بعدها من السورة غير متخصص لا فى موضوعه ولا فى فاصلته .

وهذه سورة نوح التى وإن كانت كلها من قصة نوح إلا أنه من الآية الخامسة فيها الى نهاية السورة خلص الكلام لحكاية رفع نوح الأمر الى ربه يشكو إليه قومه وإصرارهم واستكبارهم ، يدعوه أن لا يذر على الأرض منهم ديارا ، فكان كله ذا فاصلة واحدة فيها قوة وشدة جرس مناسبة لحال غضبه على قومه .

وهذه سورة النازعات تراها من الآية ١٥ الى الآية ٢٦ ذات فاصلة تكاد تكون واحدة متميزة عما قبلها وبعدها فى نفس السورة ، كتميز الآيات نفسها بتخصيصها للحديث عن موسى وفرعون ، وهناك سور أخرى كثيرة فيما ذكرته هنا مثال لها يحتذى ومنوال ينسج عليه ، وكفى .

مكتبتنا العربية

باب الأسئلة والفتاوى

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

الحب العفيف للتزوج

« هل الحب يعد حراما » الحب الذى يمهد لصاحبه الطريق لكى يتزوج فى النهاية من التى يريدها حتى يتم تعليمه مثلا إذا كان طالبا وبعد ذلك يتزوج بمن أراد . وفى أثناء هذا الحب لا يمسها بما يغضب الله : فهل يعتبر هذا الحب حراما ؟

عبد الرحمن طلعت متولى
طالب بمدرسة النهضة الحديثة الثانوية
فاقوس — شرقية

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

أما بعد : فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن الحب ميل قلبى لا اختيار للمرء فيه ، فلا يتعلق به حكم شرعى بالحل أو الحرمة : إنما الحكم يتعلق بسببه وبما يترتب عليه من الأعمال الاختيارية ، فإن كان سببه محرما أو ترتب عليه محرم كالخلوة بالمحبوبة قبل التزوج بها ، والسير معها فى الطرقات ، والسهر معها فى محل السهر ، وما الى ذلك من الأشياء المحظورة شرعا ـ كان الشخصان آثمين ، يستحقان عقاب الله تعالى . وإن لم يكن سببه كذلك ولم يترتب عليه شىء من ذلك وإنما كان بينهما ارتباط قلبى بقصد التزوج فى وقت مخصوص فلا شىء على واحد منهما شرعا . وبذلك علم الجواب . والله أعلم ؟

مكتبتنا العربية

المسبحة من عظم الفيل

وجاء الى لجنة الفتوى أيضا الاستفتاء الآتى :

نرجو الإفادة عن الحكم الشرعى فى المسبحة المصنوعة من عظم الفيل (السن) ، أو من عظم الحيوانات غير مأكولة اللحم ، وذلك من حيث الطهارة والنجاسة ، وهل يؤثر حملها ـ إن قلنا بنجاستها ـ فى صحة الصلاة ؟ فإن عندنا شخصا له معرفة يسيرة ببعض المسائل العلمية يقول : إن السن والعظم يطهر بالنار ولا حرج فى حمله أثناء الصلاة ، فاعتمدنا قوله أزمانا ، ثم رأينا بعدُ إبراء للذمة أن نعرف الحكم عن طريق لجنة الفتوى . ونرجو الإجابة على وفق مذهبى الإمامين مالك والشافعى .

كفور بلشاى — عبد الحليم حماد

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

أما بعد : فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن مذهب المالكية أن المسبحة المصنوعة من عظم الحيوان الذى يحرم أكله كالبغال ـ نجسة ، ولو ذكى الحيوان الذى أخذ منه العظم ، لأن الذكاة لا تفيد فى محرم الأكل . أما الفيل فيكره أكله ، فإن ذكى لأكل لحمه طهر بالذكاة بجميع أجزائه ومنها العظم . أما إذا ذكى للانتفاع بجلده فلا يطهر لحمه ؛ وإذا يكون عظمه نجسا ، ومتى كانت المسبحة مأخوذة من عظم حيوان محرم الأكل مطلقا ، أو مكروه الأكل إلا أنه لم يذك ، أو ذكى لأخذ جلده ، فهى نجسة ، والصلاة بها باطلة .

وأما مذهب الشافعى فهو أن المسبحة المأخوذة من عظم الحيوان الذى يحرم أكله سواء ذكى أم لا ـ نجسة ، ومن هذا الحيوانات المحرم أكلها كالفيل . وإذا فتكون الصلاة بهذه المسبحة باطلة ، ولا يجوز الدخول فيها شرعا بالمسبحة .

هذا ومذهب الحنفية أن سن الفيل أو عظم الحيوان غير المأكول ما عدا

مكتبتنا العربية

الخنزير : طاهر ، لأنه لا يحله الدم . وعلى ذلك فالمسبحة المأخوذة من سن الفيل أو عظم الميتة ، طاهرة ، والصلاة معها صحيحة . والله أعلم ؟

تبنى المسيحى للطفل المسلم

وجاء الى اللجنة أيضا هذا الاستفتاء :

ذات يوم من أيام عام ١٩٢٦ ميلادية وجد رجل مسيحى على غير ملة الإسلام طفلا حديث الولادة أمام باب منزله ، وفى قبضة يد الغلام ورقة صغيرة مكتوب بها أن اسم الطفل محمد جمعه . فتقدم صاحب الدار المسيحى الى قسم البوليس وأخطره عن الحادث ، وأظهر رغبته فى تربيته وأنه يود أن يتبناه ، فأرسل قسم البوليس الطفل الى مستشفى القصر العينى الذى قام بتسليم الطفل الى الرجل المسيحى بمقتضى طلب ثابت به أن اسم الطفل محمد جمعه ، ويلاحظ أنه لم يتقدم أى شخص للبحث عن هذا الطفل إطلاقا ، وأصبح مستشفى القصر العينى هو الذى يتولى من قبله السؤال دوريا فى فترات منتظمة عن الطفل محمد جمعه . قام الرجل المسيحى بتعميد الغلام بعد بلوغه العام الأول وتنصيره حسب أصول قواعد الديانة المسيحية ، وسماه باسم مسيحى ، كما أنه قام بدفع الكفالة العسكرية لإعفائه فى حينها . ولما كان هذا الرجل المسيحى عديم الذرية ، ولم يرزق بأولاد ، ولما كانت جنسيته يونانية ، فإنه تقدم للقنصلية اليونانية بعد بلوغ الغلام خمسة عشر عاما بإقرار يثبت به أنه تبنى هذا الغلام ، وأنه منحه اسم العائلة التى ينسب اليها ، وأنه جرده من الاسم الأصلى وهو محمد جمعه ، وأنه أضحى مسيحى الديانة . ولقد مرت الأعوام وإذا بهذا الرجل المسيحى يتنكر لهذا الغلام .

١ — فهل يعتبر التبنى للرجل المسيحى حسب الوقائع السابقة مع علمه بأن المتبنى له نسباً هو محمد جمعه تبنيا صحيحاً شرعا ويقره الإسلام ؟ .

٢ — وهل فى مكنة المتبنى (الرجل المسيحى) أن يحسر عن نسبة هذا الغلام ويرده الى ملة الإسلام ؟

٣ — وهل من الجائز رفع دعوى حسبة بهذا الصدد ؟ .

٤ — وهل للفتى المتبنى أن يطلب رده للإسلام وخلاصه من التبنى ، سواء تمكن من الاهتداء الى نسبه الأصلى والتحقق منه أم لا ؟ سيد بغدادى المحامى

مكتبتنا العربية

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد : فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن التبنى على الوجه المفهوم من السؤال لا يجوز فى نظر الإسلام ، ولا تثبت به بنوة الولد المتبنى لمن تبناه ، بل لا يزال هـذا الولد أجنبيا منه ليس عليـه ما يجب على الولد لأبيـه من الحقوق ، وليس له على من تبناه شيء من حقوق الأبناء على الآباء . قال الله تعالى « وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فإن لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ، أى فهم إخوانكم فى الدين ، فادعوهم إخوانا ما دام لم يعرف لهم آباء ، والولد فى نظر الإسلام مسلم من حيث نشأته ، وعليه أن يتقدم الى المحكمة الشرعية ليسجل إسلامه فى سجلاتها حتى لا يكون لمن تبناه سلطان عليه .

ويجب على المسيحى الذى تبناه أن يبين الحقيقة بالنسبة لهذا الولد ، ويخلى سبيله ليسجل إسلامه كما قلنا . وأما رفع قضية حسبة فى هـذا الموضوع فهو أمر يرجع فيه الى نظام القضاء الشرعى . والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى
عبد المجيد سليم

العـدل

دخل الزهرى على الوليد بن عبد الملك فقال له : ما حديث يحدثنا به أهل الشام ؟

قال الزهرى : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبداً رعية كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات .

قال الزهرى : هذا باطل يا أمير المؤمنين ، أنبى خليفة أكرم على الله ، أم خليفة غير نبى ؟ قال : بل خليفة نبى : قال الزهرى : فإن الله يقـول لنبيه داود : « يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » . فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبى خليفة ، فما ظنك بخليفة غير نبى ؟ ! قال أمير المؤمنين : إن الناس ليغروننا عن ديننا .

مكتبتنا العربية

الشعر الوصفى :

أبو تمام يصف

بقلم سيادة الأستاذ اليلمى الجليل « السيد »

صدر قصيدة من الشعر الوصفى ، لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى يصف به الروض ، ثم يمتدح بسائرها الخليفة المعتصم العباسى ، يذكرنا سحر الشاعرية فيه بطراز الأدب الغربى ، فى صدق الوصف ، وجدّة التشبيه .

بيد أن فتور التلاحم الشعرى بين أجزاء القصيدة - إلا فى وحدة القصد - باعد - فيما أحسب - بين التذوّق ، وبعض الطلاوة فى الشعر ! ! !

بدالى من أجل هذا أن أنثر صدر قصيدة أبى تمام هذه ، وأن أخلع عليها حلة من الكتابة ، تخلع بها حلة النظم ، ليستبين المعنى فى ذلّ النثر ، أجمل منه فى عقد الشعر ! ! !

قال أبو تمام :

رقت حواشى الدهر فهى تمرمرُ ... وغدا الثرى فى حليه يتكسرُ

نزلت مقدمة الشتاء حميدةً ... ويدُ الشتاء جديدةٌ لا تُكفرُ

لولا الذى غرسَ الشتاءُ بكفه ... قاسى المصيفُ هشائماً لا تُثمرَ

كم ليلة آسى البلادَ بنفسه ... فيها ويوم وَبْلُهُ مُتعنجرِ

مطرٌ يذوب الصحوُ منه وبعده ... صحوٌ يكادُ من الغضارة يقطرُ

غيثان ، فالأنواء غيثٌ ظاهرٌ ... لك وجهه والصحو غيثٌ مضمرُ

وندى إذا ادّهنتْ به لم الثرى ... خلت السحاب أتاهُ وهو معذرُ

مكتبتنا العربية

أربيعنا فى تِسْع عشرة حِجّة ... حقّاً لهذا لَلربيع المزْهِرُ
ما كانت الأيام تُسلبُ بهجة ... لو أن حُسْنَ الروض كان يعمّرُ
أوَلا ترى الأشياء إن هى غُيِّرت ... سُمجت وحسن الأرض حين تغيّرُ
يا صاحِبيّ تقصيا نظريكما ... تَرَيا وُجوهَ الأرض كيف تَصورَ
تَرَيا نهاراً مشمساً قد شابَهُ ... زهر الرُّبى فكأنما هو مُقمر
دنيا معاشٌ للورى حتى إذا ... حل الربيع فإنما هى منظر !!!
أضحت تصوغ بطونها لظهورها ... نَوراً تكاد له القلوب تَنوَّر !!!
من كل زاهرةٍ ترقرق بالندى ... فكأنها عينٌ إليك تحدر !!!
تبدو ويحجبها الجميم كأنها ... عذراء تبدو تارة وتخفر !!!
حتى غدت وهداتها ونجادها ... فتنين فى حلل الربيع تبختر
مصفرةٌ محمرةٌ فكأنها ... عصبٌ تيمنُ تارةً وتمضر
من فاقِعٍ غض النبات كأنه ... دُرَرٌ تشققُ قبلُ ثم تزعفر
أو ساطِعٍ فى حمرة فكأنما ... يدنو إليه من الهواء معصفرُ
صنع الذى لولا بدائع لطفه ... ما عاد أصفر بعد إذ هو أخضرُ
خلق أطلَّ من الربيع كأنه ... خلق الإمام وهَدْيه المتنشرُ

هذا صدر قصيدة أبى تمام ، وقد قلت فى حله ما يأتى :

رقّت طلاوة الربيع ، ورفّت حواشى الدهر فهى تمرمر : رفافة ، وألبس الثرى حليه من الحسن ، فغدا يتكسر فى حلية الترف ، أو يرف .

نزلت بواكير المصيف ومقدماته ، فاتنة حميدة ، ويد الشتاء برة بعدُ غضة ، فهى تشكر ، ولا تكفرُ !!!

أجل ! إنه لولا الذى غرسه بكفه الشتاء من الغضارة والنضرة ، لقاسى المصيف من الجدب ، وفرقة الخصب ، ـاس ، قلما تثمر ، أو تزهر !!!

مكتبتنا العربية

كم ليلة آسى الشتاء فيها بلاده بنفسه ، وكم يوم تسمحت فيه سماؤه ، بغيث يتفجر وبله المثعنجر ، أو يقطر .

مطر سمح ، يذوب الصحو منه ، يعقب بعده صحواً يكاد يقطر نضارة ، ويعتصر نعمة وترفاً .

هما غيثان . أما الأنواء فهى غيث ظاهر ، يبتسم لك ثغره ، وأما الصحو فهو غيث مضمر ! ! !

ذلك الى ندى بليل ، إذا ادهنت به لم الثرى ، خلت السحاب إنما لاقى الثرى وهو معذّر ، كالمقصر ! ! !

إيه ربيعنا الغض فى تسع عشرة حجة ، أجل إنك للربيع المزهر ، والعهد الأنضر

ما كانت الأيام تسلب بهجة ، أو تشكل فتنة ، لو أن حسن الروض فيها كان يعمّر ، فلا يتغير .

إن الأشياء لتسمج كلها إذا هى تغيرت ، سوى الحسن المحض ، من الأرض فإنما ينضر حين تغير ! ! !

أعملا فكريكما يا صاحبى ، وتقصيا نظريكما ، فإنكما سترياں وجوه الأرض كيف تصور ، فتسحر .

نهار مشمس ، ساحر الجلوة ، قد شاب إشراقته الزهر المنور ، فكأنه ليل مقمر ! ! !

دنيا أيها الصاحبان معاش للورى ، حتى إذا وفد الربيع الطلق ، فإنما هى حسن أسفر ، فى منظر ! ! !

هذه بطون الأرض ، تصوغ لظهورها أزاهير أو نوّوراً ، تشرق له القلوب حتى تكاد من حلاوة المنظر ، تنور ! ! !

مكتبتنا العربية

كل زاهرة باسمة من الثغور ، ترقرق بالندى ، وترف بالنعمة ، فكأنها عين تغازل عينيك ، وتحذر اليك ! ! !

إن الأزاهير ليجلوها الروض آونة ، ويحجبها الجيم آونة ، فكأنها حين تظهر ثم تخفر ، خفرة عذراء تبدو مرة ، وتحجب مرة ! ! !

لقد غدت وهدات الروض ونجاده فتنتين : تمشى كلتاهما فى حلل الربيع تيّاهة مزهوة ، تتعطر ، ثم تتخطر ! ! !

خمائل تلك من النبت مصفرّة محمرة ، كأنها حلل تنشر ، وعصب من الوشى تيمن تارة وتمضر ، أو تمصر .

تلك : أو أصفر فاقع غض النبات ، كأنه درر تشقق ، ثم تزعفر ، فتزهر ! ! !

أو ساطع من الأزاهر فى حمرة ، كأنما يمشى اليه معصفر من الهواء ، أو السماء ! ! !

صنع الخلاق البديع ، الذى لولا بدائع لطفه مارف الزهر فى ثوبه الأصفر ، بعد إذ هو أخضر ! ! !

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

خلق ساحر يُطل علينا من الربيع ، كأنه خلق الخليفة أو محياه الأزهر ، وهديه المتنشر ؟

الحسد

الحسد : تمنى زوال نعمة المحسود وحصول الحاسد على مثلها . ومن أحسن ما قيل فيه من الشعر قول الشاعر :

إن يحسدونى فإنى غير لائمهم ... غيرى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم ما بى وما بهم ... ومات أكثرنا غيظا بما يجد

وقال شاعر آخر :

اصبر على حسد الحسو د فإن صبرك قاتله
النار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

مكتبتنا العربية

فى ذكرى المولد

الكلمة التى ألقاها فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود جميلة مبعوث الأزهر الى العراق ، بقاعة فيصل ، فى ذكرى المولد النبوى ، وأذيعت على الشعب العراقى .

سيدى رسول الله ! سلام عليك يوم ولدت ، وسلام عليك يوم بعثت ، وسلام عليك يوم مت ، وسلام عليك يوم تبعث حيا .

سلام عليك فى الأولين ، وسلام عليك فى الآخرين ، سلام لا يحده حد ، ولا تحتويه عبارة ، ولا يقيده زمان ، ولا يشمله مكان ... فلقد كنت ياخير خلق الله سلاماً على الدنيا حين بزغت شمسك على الوجود فأنارت فجاجه ، وأوضحت سبله ، وذللت مسالكه ، وسهلت أوديته ، وجعلته منة ونعمة ، وعلماً ورشاداً .

ولدت يارسول الله والعرب أسرى خرافات وعبدة أوهام ، يدينون بالأباطيل ، ويتعلقون بالترهات ، ويؤمنون بالخرافات ، ويقيمون فى جهالة جهلاء وضلالة عمياء ، يأكل القوى الضعيف ، ويظلم المبطل المحق ، ويسود المفسد المصلح ، ويتحكم جهل الجاهلين ، وإسراف المسرفين ؛ لا يعرفون عن الحق إلا ما اتصل بأنفسهم ، ولا من الإنصاف إلا ما تعلق بذويهم ، غلاظ الأكباد ، غلف القلوب ، كأنما شقت نفوسهم من الصخور ، أو قدت من الحديد .

ولدت يا رسول بين قوم التاث عليهم الأمر ، واشتبهت أمامهم الحقائق ، وأظلمت بهم الدنيا ، فلا فضيلة جامعة ، ولا عقيدة موحدة ، ولا غاية مرموقة يدفعون عنها ويرمون من ورائها إلى مجد يرجى أو عز يراد ؛ وإنما هى عصبية جامحة يوقظها العناد والمكابرة ، ويغريها الحقد والمهاترة ، ويذكى أوارها ، وينشر

مكتبتنا العربية

لهيبها ، تناصر بالباطل ، واعتزاز بالخرافة ، وإهدار للعقول ، وتجاوز عن المعقول والمقبول . فضياؤك الساطع أنار الأنام ، وبدد الظلام ، ومحا الوثنية ، ومحق الأصنام ، وزلزل إيوان كسرى ، وقضى على العصبية الصماء ، ونادى بالسلام ، وثبت الفضيلة ، وقرر الوحدنية ، وأقام دعائم الإيمان .

سيدى رسول الله ! لقد نبتت نبتتك الطاهرة الزكية المحجوبة عن دنس المدنسين ، والمصونة عن رجس الآثمين ، منذ أن خلقت وتناقلتك الظهور والبطون ، إلى أن طلع فجرك الصادق على الوجود ، وشع نورك الوضاء على الأصقاع ، فى أرض قاحلة يعز فيها الإنبات ، ويقل فيها النبات ، لا ماء يروى ، ولا خصب يروى . ولكن نبتتك العزيزة على القدر أبت إلا أن تكون خارقة معجزة ، فمدت عروقها فى الصخور ، وأرسلت أفنانها على الرمال المترامية ، ثم مدت طولها الباسق وظلها الوارف ، ناشرة أريجها الطيب ، باذلة ثمرها الشهى إلى من فى الأرض جميعا .

فيا خير نبتة نبتت فى الدنيا فى أقحل أرض عرفها الإنسان ، نريد أن نطوى إليك القرون ، ونستوقف من أجلك الفلك ، عله يعود بنا رجعة إلى الماضى المجيد والعهد السعيد ، فنستلهم المجد من المآجد ، والهدى من الهادى ، ونغذى النفس بوقفة عزيزة ، وسط نشأة مؤمنة ، وعهود موفنة ، ضربت المثل العليا فى الفدائية والإخلاص والعدالة والإنصاف .

سيدى رسول الله ! لقد ولدت فى خير أرومة ، وانبعثت من أكرم عرق ، فكنت خير مولود عرفته الأرض والسموات .

ولدت يتيما ، لاضنا من القدر بوالديك عليك ، ولكن لتكون معجزة فى طفولتك كما كنت معجزة فى ولادتك ، فأريتنا فى اليتم عبقرية لم تكن معروفة فى اليتامى ، واليتم مضيعة منهبة ، فلما وجدت يتيما ، لم تقهر يتيما ، وجاءت شريعتك معظمة لشئون اليتامى ، منظمة لحقوقهم .

غذيت بلبن حليمة وثويبة ، ونشأت فى بنى سعد ، وأدركتك العناية وأظفارك ناعمة ، وعودك لدن طرى ، فأزالت حظ الشيطان من نفسك ، وأبدلتك به رأفة ورحمة ، فبقيت للمؤمنين رءوفا رحيما ، فلما ترعرع عودك الذكى ، وترعرعت معه

مكتبتنا العربية

فضائلك : فضائلك النقية الطاهرة ، واشتد ساعدك ، واشتدت معه كمالاتك وكراماتك ، كنت دينا قبل أن يرسلك الله بالدين ، وكنت عقيدة قبل أن تأمر الناس بالعقيدة .

لقد جفتك الهنات ، وجانبتك الهيئات ، فلم تتسق نفسك إلى متابعة ما أحاط بالقوم من وزر وما حل بهم من عوج ، لم تقترف ما اقترفه الناس حولك ، ولم تغمس يدك فى مآثم الجاهلية ، والجاهلية جُل مافيها مآثم ، فلم تشرب خمراً ، ولم تعبد صنما ، صيانة لعقلك ، وحفظاً لنفسك ، وتحقيقاً لإنسانيتك ، وتحقيراً لشأن المقترفين والمتابعين ، وشعوراً بما ينتظرك من مهام ، وما يترقبك من إصلاح ، فسفهت أحلام قومك بفعلك قبل قولك ، ونشرت الحق بصمتك قبل نطقك ، فأرغمت الجميع على تقديرك ، فآمنوا بنبلك ، وأيقنوا بصدقك ، وأجمعوا على أمانتك ، فأنت بينهم الصادق الأمين .

هذا بيت الله المحجوج تداعت أركانه ، وتصدع بنيانه ، من تطاول الأيام ، وبعد العهود ، لا من الفيل وأصحابه ، فقد جعل الله كيدهم فى تضليل ، والبيت رمز العزة العربية ، والمجد القرشى ، فتزاحمت البطون لرفع قواعده وإقامة بنيانه ورتق صدعه ، يريد كل قبيل أن يمد فى مجده ، وأن يتزع لعزته ، وأن ينال شرف الدنيا فى هذا الموقف الجليل . ثم ها هو ذا الحجر الأسود كريم أحجار الأرض على الله ، ترنو إليه الأنظار ، وتقف عنده الأطماع ، ويطلب كل فريق أن يكون له شرف حمله ومجد وضعه ، وتزاحمت البطون واشتعلت نار التنافس ، وتولاها هواء العصبية ، وكادت تقع الملاحم المهلكة والحروب المفنية القاطعة ، لولا أن ساق القدر محمد بن عبد الله الى القوم ، فوضعوا قضيتهم فى يده ، وانتظروا منه عدلا وإنصافا ، فهو بينهم الفيصل الذى لا يرتاب فى نزاهته وطهره .

حسم محمد الأمر ، ووزع الشرف بين البطون ، ومكن جميع القبائل من حمله ، فانصلت أفراح القوم ، وانقشعت عنهم غمة الفرقة والنزاع بحسن توجيهه ويمن تصريفه .

مكتبتنا العربية

سيدى رسول الله ! لقد كنت مثلا من أمثلة الخير ، وصورة من صور الفضائل ، فلا أتقى منك ولا أنقى ، ولا أشجع منك ولا أكرم ، فأين منك الريح المرسلة فى العطاء ، وأين منك الليوث فى الشجاعة والإقدام ! . نشأت سيداً وفيا ، وجاراً مجيرا ، وقريباً رحيما ، وعزيزاً متواضعا ، ومنصفا حكيما ، لا أشرا ولا بطراً ، ولا متكبرا ولا مرائيا . فهذا عمر بن الخطاب ينتهر يهودياً أخذ بتلابيبك يطلب دينا لم تمطله فيه ، فتوجه إلى عمر قولتك الخالدة « كان عليك أن تأمرنى بحسن الأداء ، وأن تأمره بحسن الطلب » .

أحببت المساكين وقربت الفقراء ، ورغبت عن الدنيا وقد راودتك جبالها أن تكون ذهبا ، واخترت الباقية الخالدة عن الزائلة الفانية ، فقرت عيون لا تحصى من الناس باصطحابك ، وهدأت نفوس لا تعد باقترابك ، فلم تشأ أن تجفف قلبك اللين السليم بالترف والنعيم ، وإنما شئت أن تكون فى صفوف المتعبين والمعدمين ، لتشعر بأحاسيس نفوسهم وظلمات قلوبهم ، فتعمل على إنقاذهم ، وترفع من شأنهم ، بتحديد موقفهم من أغنيائهم .

جاءت شريعتك اللامعة مقررة حقوق الفقراء فى أموال الأغنياء ، وتفضل مولاك ومولانا وهو المنعم ، فجعل حق الفقير حقه ، والتزمه دينا يوفيه مضاعفا وهو المالك ، ليخفف لوعة الفقر على نفوس الفقراء ، ويختلع براثن الحقد والحسد من قلوبهم للأغنياء ، ويجعل من الدنيا دار تعاون وتحاب وسلام ، لا دار قطيعة وكراهة وخصام .

نظرت إلى المرأة ، وهى نصف المجموعة البشرية ، فوجدتها مهدرة الحقوق تعامل معاملة السوائم والمتاع ، ففككت قيدها وأطلقت أسرها ، وجعلت لها مثل ما عليها . ومكنتها من مالها ، وقبلت تصرفاتها وشهاداتها فيما يناسبها ، وسويتها بالرجل فى تكليفها وتبليغها خبر ربها ، ثم اخترت لها أن تكون مصونة من العبث بعيدة عن الابتذال ، حرصا على مكانها من المجتمع وهى أمه ، والعرف محبب والأنساب عزيزة ، تفرق بين الحيوانية الناطقة والحيوانية الناهقة .

جئت بشريعة حددت حقوق الأفراد والجماعات ، وأوضحت العلاقة بين

مكتبتنا العربية

المتبوعين والأتباع ، كل له وكل عليه ، لا ضرر ولا ضرار ، ولا عربى ولا عجمى ، ولا مصرى ولا عراقى ، فالمسلم أخو المسلم . إن هذه أمتكم أمة واحدة ، فلا حدود مقامة بين المسلمين ، فإن أبت الحوادث الطبيعية إلا أن تفرق فصلة السماء بينهم موحدة وكلمة الله فيهم مجمعة ، إلههم واحد ، ونبيهم واحد ، ودينهم واحد ، ودستورهم كتاب الله . قرر عقيدة الدولة وقواعد تقويمها وتقويتها ، وأسس نظامها ومبادىء عمرانها وصيانتها من عبث العابثين وإثم الآثمين .

سيدى رسول الله :

يؤسفنى أن أتجاوز القرون إلى قرنك الطاهر ، فأقف بين الأولين السابقين من المهاجرين والأنصار فأريهم صورة من صور المسلمين اليوم ، وقد انحرفوا عن سننك ، وأهملوا تعاليمك ، فأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، وتحللوا من كل فضيلة ، واتبعوا كل ناعق ، وفسدت رءوسهم كما فسدت أجسامهم ، فالتفت بهم حشرات الأرض من كل جانب تنهب أرضهم وتسلب أموالهم وتفسد أخلاقهم وتصدهم عن دينهم ، لا من قلة مستضعفة ، وإنما عن كثرة مهيضة وغثاء كغثاء السيل لا غناء به ولا نفع فيه : فاللهم وسعت رحمتك كل شىء فاكتب لنا الهداية والتوفيق ، وارزقنا السداد والرشاد ، فإنك نعم المولى ونعم النصير .

الغوغاء

نظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى قوم يتبعون رجلا أخذ فى ريبة ، فقال : لا مرحبا بهذه الوجوه التى لا ترى إلا فى كل شر !.

وقال دعبل الشاعر :

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم ... الله يعلم أنى لم أقل فندا
إنى لأفتح عينى حين أفتحها ... على كثير ولكن لا أرى أحدا

مكتبتنا العربية

السوفسطائيون فى نظر العرب

نقد حملة جائرة

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد شاهين

لأستاذنا الدكتور محمد غلاب مكانة بين مفكرى الشرق الحديث ، وله منزلته الملحوظة عند قراء العربية ، بفضل جهاده المشكور فى النهضة الفكرية الإسلامية الحديثة . ولا غرو فالدكتور غلاب عالم أزهرى واسع الأفق ، سيال العلم ، غزير الإنتاج ؛ كما أنه شرقى نزيه لم تفقده ثقافته فى أوربا إيمانه بمدنية قومه وتاريخهم . ولعله أول باحث عربى معاصر جاهر لدينا بتلك الحقيقة المغمورة إذ أثبت بالبرهان القاطع فى كتابه القيم . (الفلسفة الشرقية) : أن نوع التفكير الحر المنظم الذى سماه اليونان بالفلسفة ، لم يكن خاصة للعقل الإغريقى وحده كما زعم المغرضون من الباحثين الغربيين ومقلديهم فى الشرق ، بل إن هذا اللون من التفكير قد نبت وازدهر أولا فى حضارة الشرق القديم ، وأفاد منه اليونان أنفسهم .

ولقد تشرفت بالتلمذة على الدكتور غلاب سنة دراسية كاملة إذ كان يدرس لنا مادتى الفلسفة الشرقية والفلسفة الإغريقية . وقد بقى فى النفس شىء من بعض ما قرره عن مدى فهم العرب للنظريات والمذاهب الاغريقية . وهاك ماقاله عن السوفسطائيين فى نظر العرب وتأثيرهم فى بعض آراء المتكلمين الإسلاميين آثرنا مناقشته فيه على صفحات (مجلة الأزهر الغراء) ليكون التحقيق فيه أتم والنفع به أعم . وما زلنا على البعد تلامذة للدكتور غلاب نتلقى عليه فى الصحف وفى مصنفاته القيمة الكثيرة ، بعد أن تلقينا عليه فى مدرجات الجامعة الأزهرية .

فى الجزء الأول من كتاب الفلسفة الإغريقية عرض الأستاذ لتحقيق آراء تلك المدرسة الإغريقية التى ظهرت فى القرن الخامس قبل المسيح وسموا أنفسهم بالسوفست ، وسماهم غيرهم بالسوفسطائية ، فأثبت أنهم على اختلاف مناهجهم قد أجمعوا على حقيقة واحدة هى إنكار الحقيقة المطلقة ، وبطلان الحكم العام . ثم قال ص ١٤٨ :

مكتبتنا العربية

« ولقد هاجم سقراط هذا الرأى فى عنف وأثبت أن المفاهيم ليست وليدة الألفاظ وإنما هى مدركات ذهنية ثابتة لا تتغير تبعا للكلمات ، وزاد أفلاطون على ذلك أنها كائنات حقيقية لها وجود ذاتى مستقل عن الأذهان وعن المحسات ، وأنها وجدت قبلهما ، ويسمى هذا المذهب (الحقيقة) ؛ ولما جاء أرسطو قرر أن المفاهيم الذهنية وجودات حقيقية ولكنها تظل كامنة فى المحسات الى أن تقع عليها الحواس فتنتقل صورتها الى الأذهان ، وليس لها فى غير هذين الموقفين وجود . ويجب أن يسبق وجودها فى الموضع الأول وجودها فى الثانى ، ويعرف هذا المذهب (بالمفهومية) . وهذا المذهب الأخير هو الذى ذاع بين فلاسفة المسلمين ومتكلميهم ، فحملهم على الجزم بأن كل المفاهيم الذهنية منتزعة من المحسات ، وهو رأى خاطىء .

« ونحن نرى بهذه المناسبة من الحق علينا للعلم أن نعلن هنا أننا إذا عذرنا الفلاسفة فى اندفاعهم وراء أرسطو ، فلا نعذر المتكلمين الذين كان من الطبيعى أن تحول بينهم وبين اعتناق هذا الرأى الخاطىء عقيدتهم بتعلق علم الله وإرادته بالكائن قبل أن تتعلق به القدرة التنجيزية ، وسابقية تعلق العلم والإرادة على تعلق القدرة التنجيزية تقتضى سابقية الكائن المعنوى الذى يتعلق به العلم على الكائن المحس ، وهو على عكس رأى أرسطو .

« ويا ليت الأمر وقف بأولئك المتكلمين عند هذا الحد ، بل إن بعضهم حين أحرجه منكرو الصفات بأنها تقتضى فى ذات البارى تركباً وتكثراً ، قالوا إنها لاتقتضى ذلك لأنها أمور اعتبارية ؛ ولا ريب أن القائلين بهذا قد هووا فى مذهب السوفسطائيين وهم لايشعرون ، ولو كان الأمر الذى هووا فيه غير صفات البارى لهان الأمر نوعا ، ولكن هذا هو الذى كان ! . على أنى لاأدرى كيف سوغ لهؤلاء القوم منطقهم أن يتعقلوا صدور هذه الحقائق الكونية عن أمور اعتبارية مع انعقاد إجماع كل العقلاء فى الشرق والغرب على أن العلة الفاعلة يجب أن تكون أحق وأقوى وأكمل من جميع متعلقاتها المتأثرة بها ، كما هو منعقد على أن الحقائق الذاتية أسمى بكثير من الأمور الاعتبارية ... » اهـ .

هكذا استطرد الدكتور غلاب فى عرض المذاهب المختلفة فى حقيقة الكليات

مكتبتنا العربية

ووجودها حتى حمل بلا حق على المتكلمين القائلين بأن وجود الكليات اعتبارى ، كما تحامل على مؤرخى الثقافة العربية لعدهم السوفسطائية ثلاثة مذاهب مختلفة . وليت شعرى بأى المذاهب كان ينبغى على المتكلمين أن يأخذوا إذا كان اختيارهم لمذهب أرسطو الصحيح المطابق للواقع أمراً معيباً ومناقضاً لعقيدتهم بتعلق العلم والإرادة قديماً ، كما يدعى الدكتور غلاب ! .

هنالك أربعة مذاهب فى المفاهيم الكلية ، وقد فصل القول فيها الدكتور بوضوح ؛ فأما مذهب السوفسطائية فبديهى البطلان ، وأما سقراط فلا فرق بينه وبين أرسطو فى الموضوع ؛ لأنه لا يجعل للكليات وجوداً فى غير الأذهان والمحسات . لم يبق إذن سوى مذهب الحقيقية الأفلاطونية ، وهو ما أوجبه الدكتور على المتكلمين ليطابق عقيدتهم بتعلق الصفات الإلهية قديماً ، كما يتبين من قوله « وسابقية تعلق العلم والإرادة على تعلق القدرة التنجيزية تقتضى سابقية الكائن المعنوى الذى يتعلق به العلم على الكائن المحس . . . الخ .

وفى هذه العبارة التواء وغموض ؛ إذ كيف اقتضى علم الله وإرادته سابقية الكائن المعنوى وحده ؟ وهل لم يتعلق العلم القديم بالجزئيات المحسوسة كذلك ؟ .

إن تعلق العلم والإرادة قديما بكليات الممكنات لا يعد تعلقا بجزئياتها ، لتجرد الأولى من المشخصات فى الثانية ، ولأنهما عند أفلاطون الذى تابعه الأستاذ متغايران مغايرة الظلال للأشكال . وكأنى بالأستاذ يريد ترديد الرأى الباطل القائل بأن علم البارى سبحانه قاصر على الكليات .

ولا مراء فى أن المفاهيم الكلية لا تدخل الى الأذهان إلا بطريق استقراء الجزئيات المحسوسة وانتزاع مابها من الصفات المشتركة الثابتة لتأليف المهايا الذهنية منها ، وهذه عملية يشترك فيها العقل مع الحواس وهى أصل المعارف كلها ، والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » .

إذن فالقول بأن كافة المفاهيم الذهنية مصدرها الجزئيات المحسوسة ، وأنها فى الحس سابقة على وجودها فى الأذهان ـ قضيتان صادقتان برهانهما الواقع نفسه ، ولا يرد عليها تعلق العلم والإرادة بالأشياء قديما ، لأن مافى علم الله لا يسمى

مكتبتنا العربية

بالمفاهيم الذهنية : وإن سبق تعلق العلم والإرادة بالحوادث لا يقتضى لكلياتها وجودا سابقا ؛ لأن أثر القديم لا يلزم بالضرورة أن يكون قديما ، وإنما تعلق العلم والإرادة بالكائنات الحادثة على أنها كائنة فى مواقيت معينة ، فالظرف الزمنى جزء من سبب وجودها . وبديهى أنه لا وجود للمسببات إلا بتمام أسبابها .

لو صح جدلا أن تعلق العلم والإرادة قديما بالممكنات يقتضى وجودا سابقا لكلياتها ، فإن هذا الوجود لا يخلو إما أن يكون شرطا للتعلق أو يكون أثرا له . . لا جائز أن يكون الاول ، لأنه لو كان للزم أحد محالين : هما انتفاء علم البارى قديما بالجزئيات الحادثة لانتفاء شرط التعلق ، أو قدم تلك الجزئيات ، وكلاهما باطل بالعقل والمشاهدة . . ولا جائز أن يكون الثانى ؛ لأنه لو صح لبطل أثر القدرة التنجيزية حيث استفادت تلك المتعلقات وجودها من التعلق القديم .

أما القول بأن صفات البارى أمور اعتبارية ، فإنه الحل المستقيم لمشكلة الصفات المعقدة ؛ لأن الله سبحانه وصف نفسه فى القرآن بكثير من صفات التنزيه والكمال ؛ وبما أن القرآن كتاب عربى غير ذى عوج ، فقد وجب فهمه وتخريج نصوصه على مقتضى قوانين اللغة ، ومن قوانينها الثابتة أن الوصف بالمشتقات يفيد قيام الصفات بالذوات ، فقد ثبت أن لله صفات ، وقد اختلف فيها المتكلمون فتغالى قوم حتى لزمهم التكثر فى الذات الإلهية والقول بتعدد القدماء ، وبالغ المعتزلة فى التجريد فلم يسلم مذهبهم من النقد والعيوب . لهذا قال أهل الحق بأن الصفات أمور اعتبارية .

وأما دعوى الأستاذ أنهم بهذا وقعوا فى السفسطة وهم لا يشعرون فمردود ، لأن بين الاعتبارية عندهم والاعتبارية عند السوفسطائية فرقا كبيراً إذ اعتبارية الشىء لديهم معناها عدم زيادة الشىء على محله بوجود زائد أو منفك ؛ مثاله صفة الوجود فى الموجود .

وأما اعتراضه بأن العلة هاهنا تكون دون المعلول فى الوجود فمردود أيضا ؛ لأن القائلين باعتبارية الصفات لا يجعلونها وحدها مصدر الممكنات وعلتها ، بل الممكنات لديهم صادرة عن الذات الموصوفة بهاتيك الصفات الاعتبارية ، والفرق بينهما كبير . قال الأمير فى حاشيته على الجوهرة عند تعريف صفة القدرة « التأثير حقيقة للذات ، وقولهم القدرة فعالة مجاز لا كفر ... » الخ .

وبعد فليست حملة الأستاذ على المتكلمين بأقل جورا من حملته على مؤرخى الثقافة العربية ، لعدهم السوفسطائية ثلاثة مذاهب مختلفة .

مكتبتنا العربية

المحبة الخالصة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد التواب
مفتش الوعظ والإرشاد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من عباد الله ناساً ، ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله . قالوا : يا رسول الله فتخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ؛ فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، ولا يخافون إذا خاف الناس » .

يبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل طائفة من الناس ، اجتمعت قلوبهم ، وصفت نفوسهم ، وزكت أرواحهم .

اجتمعت قلوبهم فخفقت بالحب البريء ، وصفت نفوسهم فأشرقت بالنور الساطع ، وزكت أرواحهم فسمت إلى ذروة الفضل ، وسبحت فى عالم الأملاك .

طائفة من الناس لم يرن على أفئدتهم خبث النفاق والرياء ، ولم يطمس بصائرهم الهوى الزائف ، والزيغ الأثيم ، بل أحبوا مخلصين ، وتآلفوا مستبصرين ، واستمسكت روابطهم بعروة من الحق لا تنفصم ، وبسبب من العزم لا ينقطع ، وبوشائج من الطهر لم تشبها الأدناس ، ولم تلوثها الأكدار .

طائفة من الناس ليسو بأنبياء ولا شهداء ، ولكن مكانتهم عند الله ، ومنزلتهم فى البررة الأخيار يغبطهم عليها الأنبياء والشهداء ، يغبطونهم فى عجب وإعجاب ، وفى تساؤل واستشراف : بم نال هؤلاء مكانتهم ، وبم أظفروا غايتهم ، وبم طابوا واستطابوا ؟ ؟

والغبطة ليست بالحسد ، فى إثمه ورجسه ، فانه تمنى زوال نعمة الغير ، وإنه كما يقول سيدنا رسول الله « يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » ، أما الغبطة فهى أن تفرح — أيها الغابط — للنعمة يفيضها الله على المنعم عليه ، وهى دعاء وأمنية ، بأن تنال كما نال ، وتظفر كما ظفر ، وأن تظلكما نعم الله السابغة ، ففضل الله لا يحد ، وآلاؤه لا تنتهى . . .

مكتبتنا العربية

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن مكانة هـذه الطائفة عند الله وظفرهم بهذه الغاية، فاستفسر الصحابة رضوان الله عليهم، معجبين متمنين، قالوا يا رسول الله: فتخبرنا من هم، لنحذو حذوهم، ونبلغ شأوهم. فقال صلى الله عليه وسلم: «هم قوم تحابوا بروح الله، وفى جلال الله، وعلى حب الله، ليس لبريق الذهب والفضة، ولا لمتعة من عرض زائل، أو غرض ذاهب، ولا لصلة الرحم أو القرابة، وكأن النبي صلى الله عليه وسلم يشير الى أسباب المحبة التى تكون لغاية، من كسب مال، أو رابطة نسب أو قرابة، فإن شأنها لا يصل مهما عزت الرابطة، وقويت الأسباب، إلى هذا الأفق السامى الذى يجتمع فيه المتحابون فى الله لغير غاية من قرابة أو مال. ثم يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الصادق والمصدوق، تأكيدا لبلوغهم هذه المنزلة، وإكبارا لشأن هذه الغاية، بأن وجوههم لنور، وأنهم لعلى نور، ولا يخافون إذا خاف الناس..

أما أن وجوههم نور، فهو نور الصفاء تشرق به جباههم، وتنبسط ببريقه أساريرهم، وتفيض به معالمهم بشرا، ووضاءة، وبهاء.

وأما أنهم على نور، فلأنهم على هـدى فى مسراهم ومسعاهم، ولأنهم على تبصرة فى سرهم ونجواهم، ولأنهم على وضح من الحق فى أعمالهم ونواياهم. وقـد روى الترمذى عن معاذ رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله عز وجل: المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء».

وأما أنهم لا يخافون إذا خاف الناس، فلأنهم آمنوا الناس فأمنوا، وسالموهم فسلموا، وتولوهم بالحنو والسمو، فكانت حياتهم إحسانا، ودعاؤهم أمانا، وغايتهم سلاما. فكرمهم الناس، وأكبرهم الناس، وأحبهم الناس، ومن أحبه الناس أحبه الله. روى الإمام مالك فى الموطأ بإسناده الصحيح عن أبى إدريس الخولانى رحمه الله، قال: دخلت مسجد دمشق، فإذا فتى براق الثنايا، وإذا الناس معه، فإذا اختلفوا فى شىء أسندوه إليه، وصدروا عن رأيه، فسألت عنه، فقيل: هذا معاذ بن جبل، رضى الله عنه، فلما كان من الغد هـجّرتُ (يعنى بكرت) فوجدته قد سبقنى بالتهجير ووجدته يصلى، فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته

مكتبتنا العربية

من قِبل وجهه ، فسلمت عليه ، ثم قلت : والله إنى لأحبك ! فقال : آلله ؟ (يعنى هل حبك لله) فقلت : لله . فقال آلله ؟ فقلت : لله . فأخذنى بحبوة ردائى فجبذنى إليه فقال : أبشر فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى وجبت محبتى للمتحابين فىّ ، والمتجالسين فىّ ، والمتزاورين فىّ ، والمتباذلين فى » .

وروى أبو داود بإسناد صحيح عن أنس رضى الله عنه أن رجلا كان عند النبى صلى الله عليه وسلم فمر رجل به فقال : يا رسول الله إنى لأحب هذا ؛ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أ أعلمته ؟ قال لا ؛ قال: أعلمه . فلحقه فقال : إنى أحبك فى الله ، فقال : أحبك الله الذى أحببتنى له . . .

وبعد : فلو أن الناس صدقوا فى حبهم ، وأخلصوا فى ولائهم ، وجعلوا لله وجهتهم ، لتساموا بمكانهم من الله ، ولحفتهم أنوار الله ، من فوقهم ومن تحتهم ، وعن أيمانهم ، وعن شمائلهم ، ولكانوا موضع الغبطة حتى من الأنبياء والشهداء . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

الحرب

قيل لعنترة : صف لنا الحرب . فقال : أولها شكوى ، وأوسطها نجوى ، وآخرها بلوى .

وقال ابن عبد ربه مؤلف العقد الفريد : هى رحى ثفالها الصبر ، وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهاد ، ونَفاقها الأناة ، وزمامها الحذر . ولكل شىء من هذه ثمرة : فثمرة المكر الظفر ، وثمرة الصبر التأييد ، وثمرة الاجتهاد التوفيق ، وثمرة الأناة اليمن ، وثمرة الحذر السلامة . ولكل مقام مقال ، ولكل زمان رجال ، والحرب بين الناس سجال ، والرأى فيها أبلغ من القتال .

وسأل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الفارس المغوار عمرو بن معد يكرب أن يصف له الحرب ، فقال : مرة المذاق ، إذا كشفت عن ساق ، من صبر فيها عرف ، ومن نكل عنها تلف . ثم أنشد :

الحرب أول ما تكون فتيـة ... تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا حميت وشب ضرامها ... عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت ... مكروهة للشم والتقبيـــل

مكتبتنا العربية

الإسلام والمثل العليا

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى
المدرس بكلية اللغة العربية

لا تجد دينا يدعو الى المُثل العليا فى الحياة كما يدعو إليها الإسلام ؛ ولا عجب فهو دين البشرية الخالد ، وعقيدة الفكر الحر المتوثب ، وخلاصة المثل الإنسانية الكريمة ، التى ترنو اليها البشرية ، وتهدف نحوها الحياة ، وتتلاقى مع تيارات التفكير الحديث ، وتتجمع مع مبادئ الحضارة والمدنية ، الصافيتين من شوْب الأهواء ، وجموح الشهوات .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ولقد جاء الإسلام والعالم يعيش فى ظلام دامس ، وجهل مطبق ، ونظم عتيقة فاسدة ، وعقائد محرفة مضللة : فبدّل ظلام الحياة ضياء ونورا ، وجَهْلَ الناس ثقافة وعلما وعرفانا ، ومحا هذه النظم البالية من كل نواحى الحياة ، وجاء بأصول اجتماعية إنسانية تربط الإنسان بالمجتمع والحياة ، وتسير به الى حضارة مهذبة رائعة ، وتجمع بين المادة والروح والدين والدنيا والأولى والآخرة ؛ كما دعا الى عقيدة تجمع بين أصول العقائد والأديان السماوية الصحيحة ، وتتمشى مع الفطر السليمة ، والإنسانية الكريمة ، والعقول والقلوب والوجدانات ، التى لم تضللها تقاليد موروثة ، أو عادات شائعة ، أو أوهام زائفة ، أو تفكيرٌ ينأى به الخطأ عن جادة المنطق السليم .

ولقد أتت الروح الإسلامية الأولى بالمعجزات : فى الاجتماع والسياسة ،

مكتبتنا العربية

وفى الأدب والعلم والفن ، وفى التفكير والتنظيم ، وفى شتى نواحى الحياة والحضارة . ومن أولى بذلك من الإسلام ، دين الله ، وشريعة رسوله محمد صلوات الله عليه ، ودستورُه القرآن ، ومنطقه العقل والحجة والبرهان ؛ وأساسه الفضيلةُ والإيثارُ والحقُّ والصدقُ والخيرُ وروحُ الجماعةِ والإنسانيةِ العالية ، والتجرُّدُ من الأوهام والرذائل والمادية القاتلة ، ومن كل ما هو منكر وقبيح ؟ .

لقد سنَّ الإسلام القوانين الصالحة لكل العصور والجماعات ، والكفيلة برقى الفرد والأسرة ، وتقدم المجتمع والأمة والإنسانية ، على نحو يرضاه العقل ، ويطمئن إليه القلب والوجدان ؛ فلم لا يكون مع ذلك الداعىّ إلى المثل الأعلى فى النظام والتشريع ؟ .

ووجَّه الإسلام الناس جميعا الى عبادة إله واحد لا شريك له ، له مقاليد السموات والأرض ، يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ؛ وفى ذلك يقول الله تعالى فى كتابه الحكيم : « إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين » « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لاشريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين » كما دعا الإسلام الناس الى دين واحد ، يصدق به العقل والروح ، ويجمع بين خير الدنيا والآخرة ، ويرشد الى أمثل ما فى الحياة من عدالة وخير ورحمة . وجمعهم على كتاب واحد ، ودستور خالد ، هو القرآن ، كتاب الله العظيم ؛ وعلى رسالة واحدة ، هى رسالة محمد بن عبد الله صلوات الله عليه ، وهى الرسالة التى تتفق مع دعوات الأنبياء وشرائع المرسلين « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبرهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » . فلم لا يكون الإسلام مع ذلك كله مثلا أعلى فى العقيدة والإيمان . ؟

مكتبتنا العربية

وحارب الإسلام العصبيات وأفكار الجاهلية الأولى، التى تفضل جنسا على جنس؛ يقول الله عز وجل «إنما المؤمنون إخوة»، ويقول رسوله صلوات الله عليه «لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى»؛ حاربها الإسلام لأنها تنادى بالتنابذ والبغضاء، وتفرق بين الناس وقد ضمهم أصل واحد «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

ومحا الإسلام الفروق الاجتماعية الواسعة بين الطبقات، التى كثيرا ما تستند الى الحسب أو الجاه أو المال؛ وجعل الفقير أخا الغنى والغنى أخا الفقير، ودعا الأغنياء الى البذل والجود والصدقة والإحسان وأداء الزكاة وإنفاق المال فى كل حق وخير ومعروف؛ كما دعا الفقراء الى الأمانة والعمل والزهد والقناعة والرضا بما قسم الله، «أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون، فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل، ذلك خير للذين يريدون وجه الله، وأولئك هم المفلحون»؛ وقرر أن المال فى أيدى الأغنياء إنما هو مال الله استخلفهم عليه «آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير»؛ وما ينفقونه من مال على الفقراء إنما هو قرض لهم عند الله يجازيهم عليه خيرا كثيرا «وأنفقوا خيرا لأنفسكم، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون، إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم، والله شكور حليم». فكيف لا يكون الإسلام مع ذلك دينا عاما هو المثل الأعلى فى الاجتماع والروح الإنسانية العامة؟

والأصول الأولى فى الإسلام تدعو إلى الحق والخير والعدل والمساواة والحرية، وإلى التعاون والوحدة والشورى، وإلى الأخوة العامة والزمالة الانسانية المشتركة، وإلى الثقافة والمدنية والحضارة والرقى، وإلى محاربة الأهواء والتقاليد الضارة، وإلى المحافظة على الشرف والكرامة وروح الانسانية فى الفرد والجماعات والأمم، كما تدعو إلى السلام، وإلى أن يقوم هذا السلام على الحق

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

أدين إذا اقتاد الجمال أزمّتى وأعنو إذا اقتاد الجميل عنانى

وما خلفه من مصفى القريض ، ومنخول القصيد ، وبليغ النشيد ، خليق بما قلده بيته :

فلا حكمتى دعوى ولا منطقى هوى ولا مبدئى لؤم ولا قلبى وَغْد

وأفصح ما يفصح عن ذلك العبقرى ، ويكشف عن صفاء نفسه ، وإحكام يَرَاعته ، وإتقان بَرَاعته - ما جرى بين قوافيه فى رثاء (جَدَّته) .

وأحكم من تحكم فى يراع وأبلغ من تبلغ من داوة
وابرأ من تبرأ من عداه وأنزه من تنزه من شمات
وأصوَن صائن لأخيه عِرْضاً وأحفظ حافظ عهد اللدات
وأمثل قائل للدهر خبراً وأصبر صابر للغاشيات

وعاطفة شوقى هى التى ساعدته على صدق الوفاء ، ورقة شوقى هى التى جودت وخلدت (شوقيات) الرثاء .

يأيها الدمع الوفى بَدار نقضى حقوق الرفقة الأخيار
أنا إن أهنتك فى ثراهم فالهوى والعهد أن يُبْكَوا بدمع جار
عطفا عليهم بالبكاء وبالأسى فتعهد الموتى من الإيثار

وبذلك وأمثاله سيظل شعره ، وسيبقى ما تخلف الشعراء عن (شوقى) نلوذ بالشوقيات ، ونقطف من رياحينها ، إن مسنا طائف السراء ، أو لفحنا هجير الضراء .

كان شعرى الغناء فى فرح الشر ق وكان العزاء فى أحزانه

واحتفاؤه بالمعانى الإنسانية وتصويره للأمانى الوطنية ، لا ينسينى تفرده وابتكاره وتقديسه المعالم التاريخية : فرعونية ، وشرقية ، وعربية ، وإسلامية . ناهيك بالآثار العالمية .

وأنا المحتفى بتاريخ مصر من يصن مجده فقد صان عرضا

وهو السباق الذى لا يضارع ، والوصاف الذى لا يشق له غبار ، ومن يمار فعليه أن يسمعه وهو يناجى (الهرم) أو يخاطب (أبا الهول) أو يقف معه على القصور الغرق « ممسكا بعضها من الذعر بعضا » .

مكتبتنا العربية

من لى بمن يعرف البيان المصور ، والأنين المتصّد ، والسحر المقنى ، والخلق المظوم ، والنغم المنضود ؟ من لى . . . !

ومن يطلب إجادة بعد إجادة شوقى حين يقول على أطلال المجادة الدارسة :

قف بتلك القصور فى اليم غرقى تمسكا بعضها من الدهر بعضا

ويقول فيها وفى استعصائها على البلى ، واستعلاء نقشها على توهين الأزمان :

شاب من حولها الزمان وشابت وشباب الفنون ما زال غضا

إنه شوقى الذى صنع الخلود لما ضرب به المثل فى الخلود . لقد عرف حق (التاريخ) على من يعتز بالتاريخ ، وآمن بأن الأمم لا تحيا على هباء من الماضى ، ولكنها تعيش على الطارف والتالد ، فاجلّ الذاهب ، وقدس الحاضر .

هذا المقام عرفته وسبقت فيه القائلين
ووقفت فى آثاركم أزن الجلال وأستبين

وجمال الآثار تزاوج مع جمال اللغة ، والفهما إيمان (شوقى) بسر (الضاد) ، وتدله بدقائقها وإدراك خصائصها ، وتمرسه واقتناصه لشواردها .

فجاء (شعر شوقى) خاليا من الضعف الذى منى به متخلفو (التجديد) ، مشغلة القاعدين عن التحصيل والتسديد .

وليتهم ساروا على رسيم (شوقى) ولم يلههم زيف المحاسن المجلوبة ! . ليتهم تكاثروا وتهالكوا على مائدة الجمال التى كانت — ولا تزال — مراداً للأول والآخر :

إنها مائدة الضاد .

إن الذى ملأ اللغات محاسنا جعل الجمال وسره فى الضاد

وما ينبغى لأحد أن ينكر على القلم إطلاق العنان فى الإشادة بشوقى وفنه الشاعرى ، لأنه أعطى موهبة ساقته وتساوقت مع مفاتيح السر . وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

مكتبتنا العربية

ونحن كلما طالعتنا ذكراه تسائلنا مصر ومعها الشرق، وتلفت البلاغة، وتطالبنا الأحداث: أين شوقي وهذا مكانه لما يزل شاغرا ؟!

ويحدُّ بنا الشوق الى الجواب، وننثر كنائننا فاذا كل مافيها رخاوة وهزال مما يشبه الهراء، وإذا الذى بيننا وبين المبالغ فى التسآل تحية معتذرة ورجعة الى (كرمة ابن هانى)، وتخنقنا على ضفاف النيل عبرات لاتجففها إلا صفحات الشوقيات من الدواوين والمسرحيات، وأما اللغة العربية وشاعرها وسميرها وسامرها فلعلها إن سألت عنه حرية فى يوم ذكراه أن تتلقى اصداء فى طيِّها ما قاله (شوقى) يرثى به صديقا كان يسهر على إشاعة البشر فى حياته، والإيناس فى وحشاته، وإنه لنجيه فى غدواته وروحاته:

تسائلى كرمتى بالنهار وبالليل أين سميرى (حسن)
وأين النديم الشهى الحديث وأين الطروب اللطيف الأذن
نجى البلابل فى عشها وماهمها صنعة فى الفنن
فقلت لها: مات واستشعرت ليالى السرور عليه الحزن
وما هو ميت ولكنه بشاشة دهر محاها الزمن

الأخوان

قال الأحنف بن قيس: خير الإخوان من إن استغنيت عنه لم يزدك فى المودة، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها، وإن كوثرت عضدك، وإن استرفدت رفدك. وأنشد:

أخوك الذى إن تدعه لملمة يجبك وإن تغضب إلى السيف يغضب

ولما صارت الخلافة إلى المنصور كتب إليه رجل من إخوانه كتابا فيه هذه الأبيات:

إنا بطانتك الألى كنا نكابد ما تكابد
ونرى فنعرف بالعداوة والبعاد لمن تباعد
ونبيت من شفق عليك ربيئة والليل هاجد

فوقع أبوجعفر على الكتاب: صدقت، ودعا به فألحقه بإخوانه.

الإيمـــان

لحضرة الأستاذ عمر طلعت زهران
أستاذ فى الأدب والصحافة

ليس الايمان مقتصراً على دين دون دين ، أوعلى جنس دون جنس ، ولكنه شعور يشعر به الفرد أيا كان دينه أوجنسه أو وطنه . وإن الكتب العربية لتزخر بوصف مشاهد الخشوع وقصص الإيمان ، وإنا لنرى الكتّاب يقصون علينا تلك الأنباء ، أو يخطون إحساساتهم العامرة بالإيمان ، فى أسلوب قوى بليغ يشع إيمانا ، ويذوب وجدانا . وما أبلغ البوصيرى فى بردته ، وهوالذى لم يشتهر إلا بها ، ولم يكن شعره فى غيرها من عيون القصائد . وقد وقعت فى قراءتى فى كتاب « فى خطى المسيح » من تأليف هـ . ف . مورتون : على وصف لحاج بلغارى يزور بيت المقدس ، رأيت أن أنقله إلى العربية . ولعل من نوافل القول أن أقول إن مورتون ليس من كتاب الإنجليز الممتازين ، فان نقدتهم يرون فيه كاتبا عاديا ، كغيره من مئات الكتاب ، ولكنه فى كتابه - الذى ننقل عنه - يمتاز بروحانية التعبير وحسن الأداء ، فهو يصف رحلة قام بها إلى بيت المقدس ليزور الأراضى المقدسة ، والأمر إن اقتصر على الوصف ، كان جفا ، ولكنه يبث خلال السطور مشاعره ، ويبين عن إحساساته ووجدانه ، ويرجع بذاكرته الفهقرى ، قروناً وقروناً ، يذكر أو يتذكر الحوادث حين وقوعها ، فيعطينا صورة حية لعصر فذ من عصور التاريخ .

أراد الكاتب أن يدخل الهيكل المقدس حيث يوجد « قبر » المسيح . وقبر المسيح : حجرة ضيقة مرمرية ، طولها ستة أقدام ونصف ، وعرضها ستة أقدام ، لا يستطيع أكثر من شخصين أو ثلاثة أن يقفوا فيها معا ، وفى شطرها الأيمن

مكتبتنا العربية

لوح من المرمر الأبيض يغطى الصخرة التى وضع عليها المسيح بعد « صلبه » (فيما يزعمون) .

رأى مورتون حاجا يسجد داخل « القبر » فانتظر حتى ينتهى من صلاته ليدخل اليه بدوره .

وطال انتظارى ونفد صبرى ، فأحنيت قامتى ونظرت خلال الباب المنخفض فرأيت أن الشخص الساجد إنما هو شيخ ، بلغ من العمر عتيا ، منحنى الظهر ، مهلهل الثياب ، ينتعل نعلا ضخما من اللباد . كان حاجا بلغاريا أتى فى سفينة حجاج ولربما كان يدخر حياته كلها لهذه اللحظة .

كان يسجد أمام « القبر » الرخامى ويقبله مرارا ، تتساقط من عينيه الدموع غزيرة ، فتنساب خلال تجاعيد وجهه متساقطة على الحجر ، وكانت يداه الخشنتان الكبيرتان ، وأظافره الغليظة السوداء ، من أثر عمل مكد شاق ، تلمس الرخام برفق وخشوع ، وفى عاطفة جياشة رقيقة ؛ ثم لا يلبث أن يستأنف صلاته .

وأخذ يبتهل الى الله بصوت مرتفع مرتجف ، وأنا أنظر إليه غير مستطيع فهم ما يقول . وأخرج من جيب سترته بضع وريقات متسخة وشريطا من القماش ، مسح بها جميعا « القبر » ثم عاد فأودعها جيبه .

وظننت أنى قد أجد مكانا لى بجانبه ، فأحنيت رأسى ودخلت الهيكل ، فملأنا ثلاثتنا ـ الراهب الإغريقى ، والفلاح الساجد ، وأنا ـ المكان الضيق . وكان يمكننا أن نظل ـ رغم ضيق المكان ـ فى راحة ودعة ، لو بقى الفلاح ساجدا ، ولكن لعل دخولى قد أزعجه ، فنهض وما زالت دموعه تتساقط ، وهمس فى أذنى ببعض الكلمات . ووقفنا ـ ثلاثتنا ـ وقد تلاصقت صدورنا ، وتلاقت أبصارنا ، وأيقنت أنى أرى فى عينى هذا الفلاح سعادة حقة .

لقد حقق حلم الحياة ، ولم أكن قد رأيت سعادة مثل سعادته من قبل ، لم أكن قد رأيت السلام والرضا مجسمين على وجه ، كما كانا على وجهه ، وودت لو دفعت

مكتبتنا العربية

الحياة وما أملك ، ثمنا لحديث أبادله إياه ، ولكننا ظللنا هكذا وقوفا فى « قبر » المسيح ، يهمس - هو - فى أذنى بحديث لا أفقه منه شيئاً ، ولا أستطيع إلا أن أهز له رأسى نفيا .

ولعله يئس من محادثتى ، فتحول عنى الى الراهب الإغريقى وهمس له بنفس الكلمات ، ولكن الراهب ، لم يفهم قوله قط ، فهز رأسه - أيضاً - نفياً . وعلا الضيق محيا الشيخ العجوز ورفع صوته قليلا ، ونظر إلى الدرج الرخامى نظرة سريعة ، ما لبث أن خفضها ، ثم أشار الى جهته والى المصابيح المعلقة فوق « قبر المسيح » . وهنا فهم الراهب ما يريد ، فأومأ إيجابا ، وخفض مصباحا ، وأخذ قطعة من القطن فبللها بزيت المصباح ثم مسح بها وجه الفلاح .

وخر الشيخ العجوز راكعا على ركبتيه محولا وجهه نحو « القبر » ، غير راغب فى مبارحة المكان ، خاشعا من أثر الإيمان ، تتحسس يداه الخشنتان الكبيرتان « القبر » المرمرى ، كأنما تمسحان على شعر طفل بحنان .

وجلست حينا على مقعد حجرى ، مواجها الباب المنخفض المؤدى الى القبر ، وعاهدت الله - بينى وبين نفسى - أن أجلس هنا طيلة إقامتى فى بيت المقدس . كان الجمع الذى حولى ساكناً ، يصعد الزفرات ، ويسجد فى خشوع ، أو يقف على أطراف أصابعه فى ضوء الكنيسة الخافت ، يتحدث فيما بينه همسا ، أو يسبح الله على حبات المسابح .

وهنا تذكرت وصف « مايتلد سراد » الرائع لهذا الجمع إذ تقول :

« كانوا يقفون كالأشباح ، لا ينظرون يمينا ولا يلتفتون شمالا ، مستغرقين فى صلواتهم ، تائهين بين تأملاتهم ، غائبين فى ذكرياتهم الحزينة ، كأنما قد غاب عنهم كل شىء ، إلا الرغبة الملحة فى أن يدعوا الله ، فى قدس الأقداس هذا ، راجين العفو ، طالبين المغفرة ممن وسعت رحمته كل شىء . وإن أفكار المتعبد المتهجد ، فى هذا الضوء الخافت ، وفى هذا المكان الساكن ، لتضمحل وتتضاءل إزاء هذا الشعور الروحى ، وهذا القلق المتسامى ، حتى لتفنى الشخصية الفردية ، وتبدو جميع الماديات كأنما هى أشباح غير حقيقية » .

مكتبتنا العربية

فى قصر الرشـــيد

سيرته فى ندمائه

لحضرة الأستاذ الشيخ حسن خطاب الوكيل

كان الرشيد لايصبر عن مصاحبة ابن أبى مريم المدنى، ولا يمل محادثته؛ لأدبه وطرائفه، ومعرفته أخبار أهل الحجاز وألقاب الأشراف، ومكايد المجّان، وخفة الروح، وسرعة الخاطر؛ لذلك بوأه الرشيد مكانا فى قصره، وخلطه ببطانته ومواليه، واتخذه نديماً خاصاً له.

فى ذات ليلة دخل الرشيد غرفة ابن أبى مريم وقت الفجر، فوجده يغط فى نومه، فكشف عنه غطاءه وقال له كيف أصبحت؟ فاستيقظ ابن أبى مريم قليلا وهو يظن أن مكلمه أحد حراس أمير المؤمنين، فأجابه من غير روية: ماأصبحت بعد، اذهب ياهذا إلى عملك! فقال له الرشيد: ويلك قم إلى الصلاة!. فأجابه ابن أبى مريم من تحت الغطاء: هذا وقت صلاة أبى الجارود [1] وأنا من أصحاب أبى يوسف. فتركه الرشيد وأرسل اليه أحد الخدم ليوقظه، فقال له: أمير المؤمنين قد قام الى الصلاة فقم. فقام ابن أبى مريم وتوضأ ودخل إلى المصلى فإذا الرشيد يقرأ فى صلاته آية: «ومالى لاأعبد الذى فطرنى»، ثم أمسك عن بقية الآية. فلاحظ عليه ابن أبى مريم بقوله: لاأدرى والله!. ففطن لها الرشيد فضحك وخرج من صلاته، والتفت إلى ابن أبى مريم وقال له محذراً: فى الصلاة أيضا؟! فأجابه ابن أبى مريم مغالطا على سبيل المزاح: ياهذا وما صنعتُ؟. فأجابه الرشيد: قطعت على صلاتى وأضحكتنى. فقال له ابن أبى مريم معتذراً: والله ماقصدت، وإنما سمعت منك كلاما غمنى حين قلت: ومالى لا أعبد الذى فطرنى، ثم أمسكت فقلت: لا أدرى والله، ما لك لا تعبد الذى فطرك!

---

(١) أبو الجارود: أحد رجال الشيعة.

مكتبتنا العربية

فضحك الرشيد وقال له منذراً ومؤدبا : إياك والقرآن والدين ، ولك ما شئت بعدهما ! .

ولما طلعت الغزالة ، وأشرقت الأرض بنور ربها ، وألحف الجو الضياء ، وغنت الأطيار ؛ أرسل الرشيد في طلب اسحاق الموصلي فأحضر ، فقال له الرشيد : غنا يا إسحاق :

أعاذل قد نهيت فما انتهيت وقد طال العتاب فما ارعويت

الخ الأبيات .

فغنى إسحاق وأطنب وأجاد ما استطاع إلى ذلك سبيلا . فطرب الرشيد واستعاد الغناء ، فغاظ ذلك ابراهيم المهدي وكان حاضرا ، فقال لاسحاق : ماأصبت ياإسحاق ولا أحسنت ! . فأجابه إسحاق على الفور بقوله : ليس هذا مما تعرفه ولا تحسنه ، وإن شئت فغنه أنت ، فإن لم أجدك أنك تخطىء فيه منذ ابتدائك إلى انتهائك فدمي حلال .. ثم وجه كلامه إلى الرشيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتي وصناعة أبي ، وهي التي قربتنا منك وأوطأتنا بساطك ، فإذا نازعنا فيها أحد بلا علم ، لم نجد بداً من الإيضاح . فقال الرشيد له مطيبا خاطره : لا لوم عليك يا إسحاق . ثم قام من المجلس كأنه قام لحاجة في نفسه .

فانتهز هذه الفرصة ابراهيم المهدي والتفت إلى إسحاق مخاطبا ومعنفا : ويلك ياإسحاق ، أتجترىء علي في حضرة أخي ، وتقول ما تقول يا . . .

فأجابه إسحاق مغاضبا : أنت تشتمني ولا أقدر على إجابتك ، وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة .

وبينما هما على هذه الحال ، وإذا بالرشيد يعود إلى المجلس على أثر هذه المشادة الخطيرة . . فتقدم إبراهيم المهدي ، وجلس بين يديه ، وقال : يا أمير المؤمنين شتمني إسحاق ، واستخف بي ! .

فغضب الرشيد ونظر إلى إسحاق ، وقال له : ويلك يا إسحاق ، ما تقول ؟ ! .

فأجاب إسحاق خائفاً : لا أعلم ، وسل من حضر يا مولاي .

فتقدم مسرور وقص عليه كل ما حدث .

مكتبتنا العربية

فالتفت الرشيد إلى ابراهيم وقال له : لا ذنب على إسحاق ، شتمته فعرفك أنه لا يقدر على جوابك . ارجع إلى مكانك وأعرض عن هذا حتى أنظر فى أمر إسحاق . ثم التفت اليه وقال له يا إسحاق : ويلك لا تعد لمثل هذا ! أترى لو ضربك ابراهيم أكنت أضربه وهو أخى يا جاهل ؟ أتراه لو أمر غلمانه فقتلوك أكنت أقتله بك ؟

فأجاب اسحاق وقد أوجس فى نفسه خيفة : والله يا أمير المؤمنين قتلتنى بهذا الكلام ، وإن بلغه ليقتلنى ، وما أشك فى أنه بلغه الآن !.

فرق الرشيد وعطف على إسحاق ، فأراد أن يدرك الأمر وأن يعالجه بالحسنى قبل خطورته ، فقال لاسحاق : إلى منزلك حتى أدعوك بعد . وبعث فى طلب ابراهيم المهدى ، فأحضر ، فابتدره الرشيد بقوله : أتستخف بخادمى وصنيعتى ، وابن صنيعتى وخادمى ، وصنيعة أبى ، وتقدم علىّ وتستخف بمجلسى وحضرتى هاه ! هاه ! وأنت مالك وللغناء . وما يدريك ما هو؟ ومن أخذك به وطارحك إياه حتى تتوهم أنك تبلغ فيه مبلغ إسحاق الذى غذى به وعلمه وهو فى صناعته ؟ ثم تظن أنك تخطئه فيما لاتدريه ، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليه فلا تثبت لذلك وتعتصم بشتمه ! ألا تعلم أن هذا سوء أدب ، وقلة معرفة ، وعدم مبالاة بالخطأ والرد القبيح والتكذيب . والله العظيم ، وحق رسوله ، وإلا فأنا برىء من المهدى ، إن أصابه أحد بمكروه ، أو سقط عليه حجر من السماء ، أو وقع عن دابته ، أو سقطت عليه سقيفة أو باب فجأة ، لأقتلنك به . والله والله وأنت أعلم ، قم الآن فاخرج ولا تعرض له !.

ولما كان الغد أو بعده بعث الرشيد فى طلب إسحاق ثم ابراهيم فأحضرا ، فأخذ الرشيد يمهد للصلح بينهما ، فصار ينظر إلى ابراهيم ويبتسم ، ثم ينظر إلى اسحاق ويبتسم ، ثم التفت إلى ابراهيم وقال له : إنى لأعلم محبتك لإسحاق ، وميلك اليه ، وإلى الأخذ عنه ، وإن هذا لا يجىء من جهته كما تريد إلا بعد أن يرضى ، والرضا لا يكون بمكروه ، ولكن أحسن اليه وأكرمه ، واعرف له حقه وصله .

ثم التفت الرشيد إلى إسحاق وقال له : قم الآن إلى مولاك وابن مولاك فقبل رأسه . فامتثل إسحاق وقبل رأس إبراهيم !.

مكتبتنا العربية

شهادة الأيام فى قضية الإمام

هذا عنوان كراسة مطبوعة تبلغ صفحاتها ثمانية وأربعين صفحة تحتوى على كلمة لصاحبها الشاعر النابه البليغ مرسى شاكر أفندى الطنطاوى ، تليها قصيدة يبلغ عدد أبياتها نحو ثلاثمائة بيت بل تزيد ، وتنتهى ببضع صفحات قيمة تبحث فى سيرة الإمام علىّ عليه السلام والحوادث التى طرأت فى أيامه ، لحضرة الوجيه ميرزا مشكى بك رفيع مشكى .

أما القصيدة فهى كما يدل عليه عنوانها « شهادة الأيام فى قضية الإمام » لم تدع صغيرة ولا كبيرة من سيرته وشمائله رضى الله عنه إلا أتت بها شعراً فى ألفاظ مختارة ، وصياغة معجبة ، وسبك بديع ، وعرض للحوادث الخطيرة ، فى نظام متسق . فهذه القصيدة قطعة من الأدب العصرى الذى يجب أن ينشر ، ويجب أن يدخر ويقرأ .

حجة المنبر

إن سيادة حسن القاياتى من أنجب المشتغلين باللغة من المعاصرين ، وهو عضو بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، اشتغل بالأدب على عرق ، فبلغ فيه شأواً بعيداً . وقد أهدانا برسالة مما كتبه أخيراً تحت عنوان (حجة المنبر) نحا فيها نحواً طريفاً فى الوعظ والإرشاد ، والنعى على البدع والمبتدعين ، وأنحى بقوة على اللاهين والمتمردين ، فى عبارات تلفت الذهن للفهم ، وتوقظ النفس للاتعاظ . ليست جارية على سنن الخطباء المنبريين ، ولكنها أفعل فى لفت الأنظار ، وإيقاظ القلوب ، مما اعتاد الناس أن يسمعوه فى كل جمعة حتى حفظوه . وإنا لآتون للقارىء بقطع منها ، إدلالا على باقيها : قال سيادته :

أما بعد : فأين يذهب بكم أيها المسلمون عن الدين ، وسنة الهادين ؟ وكيف أنستم إلى مقتل الفضيلة ، وسطوة الرذيلة ؛ وتألفكم ضن الزمان بالإحسان ، وقعدت بكم جفوة الأمل ، عن العمل .

« أين لا أين ؟ من يتقى الله حق تقاته ؟ ويعمل لمرضاته ؟ وأين من يقيم الصلاة ، ويؤتى الزكاة ؟ « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » ، والزكاة مرحمة وقوتا . أين الصائمون ينعمون بين شدة للصوم وضيق ؟ والحجاج المطهرون يأتون من كل فج عميق ؟ بمثل هؤلاء يقام الدين ، ويكبر اليقين » .

مكتبتنا العربية

كتاب النفس لارسطوطاليس

إن كتاب النفس للفيلسوف الأشهر أرسطو الملقب بأمير الشعراء بقى مرجع جميع الفلاسفة فى هذا العلم إلى القرن التاسع عشر ، وهو فى الوقت نفسه أعظم كتب أرسطو قيمة . وهو يشمل ثلاث مقالات : الأولى سرد فيها أرسطو مذاهب القدامى من الفلاسفة الذين سبقوه ، والثانية فى تعريف النفس على حسب مذهبه ، والثالثة فى الحس المشترك والتخيل والتفكير والنزوع

ولم يقتصر أرسطو على كتابه هذا ، فكتب فى مواطن أخرى من مؤلفاته ما عنّ له من الأمور المتعلقة بعلم النفس . وهو يعتبر دراسة النفس جزءا من العلم الطبيعى ، لأن النفس ، كما قال : مبدأ الكائن الحى .

وعلى هذا فإن ترجمة هذا الكتاب ونشره يعتبر من الأعمال التى تخدم بها دراسة الفلسفة أجل خدمة .

نقول هذا وبين يدينا ترجمة جليلة القدر ، منقطعة النظير لهذا الكتاب الشهير قام بها الأستاذ الجليل الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى المدرس بالجامعة المصرية اعتمد فيه على (تريكو) الفرنسية ، ونظر الى جانبها فى ترجمة (هكس) . وقد رأى إتماما للفائدة أن يكاشف صديقه الأب قنواتى لمراجعة الأصل اليونانى لأنه ملم بهذه اللغة : فكانا يجتمعان للمراجعة والمقابلة حتى أصلحا الترجمة ، وأصبحت أقرب الى الصحة . فجاءت هذه الترجمة بعد ما بذلت لها هذه العناية العظيمة جديرة بكتاب يعتبر أكبر مرجع لعلم النفس فى الفلسفة القديمة . ومن الجزاء الحسن لحضرة الأستاذ الدكتور الأهوانى أن يوفق الى ترجمته ليكون مكافأة له على ما بذله من العناية الفائقة بترجمة سواه من الكتب النافعة ، وإنفاق أوقاته فى تمحيصها وتهذيبها .

ولسنا بحاجة لأن نقول إن الكتاب مطبوع طبعة أنيقة على ورق غاية فى الجودة ، وقد وضع فى ذيله معجما للمصطلحات الواردة فى كتاب أرسطو بأربع لغات : الفرنسية والإنجليزية واليونانية والعربية .

مكتبتنا العربية

فهرس

الجزء الأول — المجلد الحادى والعشرون

الموضـــــوع	بقلم	صحة
فاتحة السنة الحادية والعشرين ...	« حضرة صاحب العزة مدير المجلة ...	٣
احتفال الأزهر بالعام الهجرى	« حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر	٥
الناموس الأدبى العام	« « « العزة مدير المجلة ...	٩
حكم الشريعة فى استبدال النقد بالهدى	« « « الفضيلة الشيخ محمود شلتوت	١٣
أهـداف الهجرة	« « « « فكرى ياسين ...	١٨
بين الشريعة والقانون	« « « « عبد اللطيف السبكى	٢٤
عبرة وعظة	« « « « الطيب النجار ...	٢٩
مفردات فلسفية ـ دين	« الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى	٣٣
الركن الشرعى للجريمة	« « « أحمد محمد ابراهيم	٣٧
مذهب الصرفة	« فضيلة الأستاذ على حسن العمارى	٤١
الإمام البخارى	« « « « محمود النواوى	٤٥
حرية الرأى	« « « « على أبو الخشب ...	٥١
من طرائف القرآن الكريم	« « « عبد الغنى الراجحى	٥٥
الحب العفيف للتزوج	« لجنة الفتوى	٦١
المسحة من عظم الفيل	« «	٦٢
تبنى المسيحى للطفل المسلم ...	« «	٦٣
أبو تمام يصف	« سيادة الأستاذ « السيد »	٦٥
فى ذكرى المولد	« فضيلة الأستاذ الشيخ محمود جميلة ...	٦٩
السوفسطائيون فى نظر العرب	« « « « احمد شاهين ...	٧٤
المحبة الخالصة	« « « « محمد عبد التواب	٧٨
الاسلام والمثل العليا	« « « محمد عبد المنعم خفاجى	٨١
عجالات فى الشوقيات	« « « الشيخ كامل محمد عجلان	٨٥
الايمـان	« حضرة الأستاذ عمر طلعت زهران	٨٩
فى قصر الرشيد	« « « « حسن خطاب الوكيل	٩٢
تقاريظ	«	٩٥